



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون تيارت
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي



مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر الطور الثاني ل.م.د.
تخصص نقد حديث ومعاصر

الموسومة بـ:

النقد التفكيكي

ومفارقة المعنى سؤال الغياب وإستدعاء المهمش

إشراف الأستاذ(ة):

إعداد الطالب :

كـ الدكتور: عابد بن سحنون

كـ بوقفحة إلياس

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
محمد مزيط	أستاذ محاضر أ	جامعة تيارت	رئيساً
عابد بن سحنون	أستاذ محاضر ب	جامعة تيارت	مشرفاً ومقرراً
محمد جواد مكيفية	أستاذ التعليم العالي	جامعة تيارت	مناقشاً

السنة الجامعية: 1446هـ/1447هـ - 2024م/2025م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى أهل العلم والخير دون استثناء، إلى والدي (محمد) العزيز
أطال الله في عمره و إلى أمي تلك التي عانت من أجلنا متعها الله
بالصحة والعافية إلى أشقائي كلهم الذين لم يخلوا علي بما أريد
حفظهم الله وأكرمهم بعنايته .

إلى من قدموا أرواحهم شهداء في سبيل الله من أجل أن نحيا
نحن، إلى المصلحين والمخلصين الساهرين على حال أمتنا
الإسلامية وقضيتها الكبرى فلسطين، إلى الساهرين على أمن
وسلامة بلادنا الحبيبة الجزائر من كل الضغائن والحسابات
والخلافات والخلفيات الضيقة.

شكر وتقدير

لا بد لنا ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة نعود إلى
أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير
...بأذلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد
وقبل أن نمضي نقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبّة

وأخص بالتقدير والشكر

الدكتور والأستاذ المشرف "عابد بن سحنون"

وكذلك نتوجه بالشكر إلى لجنة المناقشة الكريمة، وعلى رأسهم "مزيط مهاد
"والأستاذ المناقش "مهد جواد مكيّة" وأيضا كل الشكر لمن ساعدنا على
إتمام هذا البحث

وقدم لنا العون ومد لنا يد المساعدة

بقلم الطالب: بوقنفحة إلياس

مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، والصلاة والسلام على مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين ومن اتبعهم إلى يوم الدين أما بعد:

يعد النقد التفكيكي واحدا من أبرز مناهج التحليل الفلسفي والنقدي، والذي ينتمي إلى مناهج ما بعد الحداثة، فقد انبثقت التفكيكية من رحم البنيوية نفسها كنقد لها، وثورة على البنى الميتافيزيقية الغربية الثابتة، والتشكيك في مصداقياتها وزعزعة مراكزها وذلك من أجل هدم المتعاليات وإعادة بنائها بنظم جديدة ومغايرة، وتجاوز تلك الأنساق الثابتة على شكل شك، وتفكيك تمرد ورفض وإعادة النظر، والدعوة إلى الانفتاح واللا نهائية، وعليه فمن أهم نتائج ما بعد الحداثة إستراتيجية التفكيك، والتي جاء بها الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا، فقد انتقل هذا الأخير من إعطاء الأحقية للهامش على حساب المراكز ونقد وتقويض كل الباطنيات والأنساق المضمرة في الفلسفة الغربية القائمة على أوهام العقل والميتافيزيقا، وإحياء لكل من كان ضمن الإقصاء والرفض كالتعدد في القراءات وإقرار الاختلاف والتغيير، ومن هنا كان بحثنا موسوما بعنوان: النقد التفكيكي ومفارقة المعنى، سؤال الغياب و استدعاء المهمش، وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن طريقة عمل هذه المصطلحات في تفكيك البنية الداخلية للغة، وكسر نظام المتعاليات الغربية، وإبراز ما تم إقصاؤه من ساحات القول وعوامل الخطابات من خلال مساءلة الغياب والبحث عن أثره في إبراز المعاني، وكذا تكمن أهمية هذه الدراسة في إنارة آليات التفكيكية التي تكشف المضمرات الداخلية للنصوص وإعادة الاعتبار لكل هامشي تم رفضه، وهذا ما يبرز قوة التفكيك في تفجيده للمعاني وهدمها وإعادة بناءها من جديد.

ومن الدوافع المشجعة إلى ضرورة إقتحام هذا الدرب والرحلة العلمية بما فيها من مغامرة ومتعة، ولعل أبرزها حب الاستطلاع وإكتشاف أهم المناهج النقدية في فترة ما بعد الحداثة ألا وأبرزها التفكيكية وما تتضمنه من رؤى معرفية واسعة وخبرة نقدية عميقة والتي تتوسع لتؤثر في الحاضر والمستقبل، بالإضافة إلى محاولة إكتشاف الذات وتخليص الفكر من عقدة النقص التي تلازمه تجاه الفكر الغربي.

أما عن صعوبات هذا البحث، فلا يخلو أي عمل منها لعل أبرزها:

* كثرة المصادر والمراجع التي درست مثل هذا الموضوع والذي أدى إلى تشعب الأفكار وصعوبة الربط بين المفاهيم.

* قلة وضيق الوقت، أثر بشكل جد ملحوظ على مسار بحثي هذا.

* صعوبة فهم بعض المصطلحات التي اكتنفها الغموض، مما إضطرني إلى الاستعانة ببعض المعاجم الأدبية للبحث عن معناها، والتقرب من فهم مدلولها.

وقد جاء الإشكال لبحثنا كآلي: كيف ساهم النقد التفكيكي في بناء المعنى وتناثر الدلالة؟ وكيف تلقى بحثي بن عودة آليات التفكير الدريدي؟، وكيف تمكن من إعادة توظيف هذه الإستراتيجيات التفكيرية لمساءلة الهوية؟

وللإجابة على هذه الإشكالية تطلب العمل خطة بحث مقسمة إلى مقدمة وفصلين والفصل الأول أوردنا فيه الجانب النظري بعنوان في مصطلحية التفكير، فدرسنا فيه أهم الإستراتيجيات التفكيرية والتي جاءت لنقد التمرکزات العقلية التقليدية، أما الفصل الثاني فقد طبقنا تلك الإستراتيجيات التفكيرية على العقل الجزائري، وكانت لنا وقفة مع بحثي بن عودة ونقده للعقل السلطوي والبحث عن الهوية الجزائرية المهمشة، من خلال معالجته أسقام العقل عن طريق تتبعه وتأثره بجاك دريدا، ليتوج البحث بخاتمة لأهم النتائج المتوصل إليها.

ولقد استند البحث على المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال وصف وتحليل لأهم الإستراتيجيات التفكيرية، ولا ننسى الإعتماد على بعض المصادر والمراجع الدور الكبير في إتمام هذا العمل وخروجه على هذا الشكل لعل من أبرزها:

* الكتابة والإختلاف لجاك دريدا.

* كتاب ما معنى التفكير لمحمد الشيخ.

* كتاب معرفة الآخر.مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة والذي شمل كل من عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي.

وغيرها من المصادر فقد كانت كمصباح منارة للمناهج النقدية الحديثة.

بالإضافة إلى مجموعة من الكتب التي تم الاستعانة بها ولا يسع المجال لذكرها كلها، وتجدر الإشارة أن هناك دراسات سابقة من مثل: ديوان السعيد بعنوان "الكتابة في النقد التفكيكي عند جاك دريدا" من خلال مؤلفه "الكتابة والإختلاف" وأيضا عنوان "التفكيكية عند جاك دريدا". وختامنا أتقدم بالشكر والتقدير لأستاذي "عابد بن سحنون"، على ما تفضل به من متابعة وتصحيح لهذا البحث طوال فترة إعدادة وكتابته، كما أتقدم بالشكر والتقدير لأعضاء اللجنة المناقشة لما يبذلونه من جهد في قراءة البحث وتقويمه وتوجيهه إلى الوجهة الصحيحة. وكل بحث يعتريه النقص ، لكن نأمل أن يكون فيه نفع لكل قارئ مستقبلي إن شاء الله والحمد لله .

إمضاء الطالب: بوقنفحة إلياس

تبارك، 2025

مدخل

1. الحادثة والشك الديكارتي:

يمثل بداية الشك الديكارتي مساراً نحو اليقين في المعرفة، محطته الأولى هي الحواس التي اتهمها بالخداع، أما محطته الثانية فهي العقل حين يقول «قد نخطئ في استدلالنا وأحكامنا لكن في زحمة الشك هذه، أبقى متأكداً من شيء واحد هو أنني أشك، وبما أنني أشك، فإنني أفكر، وبما أنني أفكر، فأنا موجود حتماً»⁽¹⁾، وعليه فـ«ديكارت **R.Descartes** هو البوتقة التي إنصهرت منها كل أوجه الثورة على القديم، على المستوى الديني والأدبي والفني والعلمي، ليؤسس فلسفة حديثة يعبر عنها بالحادثة، وقد استطاع ديكارت بعقلانيته أن يكسب شهادة الفلاسفة في أنه المؤسس الأول للحادثة سواء كان داعياً لها، أو متواصلاً معها، أو كان داعياً عليها، ومنقطعاً تماماً على مبادئها»⁽²⁾.

فالحادثة «تمثل لحظة تاريخية حاسمة في مسيرة العقل الغربي، والسياقات المرجعية التي مهدت للمشروع الحداثي، تبين وترسم أرضية اللوغوس الغربي، كونها مستمدة بصورة أساسية من فلاسفة عصر التنوير، وتظهر بمثابة صيغة مميزة للحضارة الغربية تعارض صيغة التقاليد، لأن وعي الحادثة بذاتها يستند إلى وعيها بضرورة تمييزها عن القدم، وأكثر إهتماماتها الديمومة والثبات»⁽³⁾ وبالتالي فهي: لحظة فكرية مفصلية في تاريخ الغرب، تقوم على إعادة بناء المعرفة والعلاقات الإنسانية، إنطلاقاً من سلطة العقل، وكذا تهدف إلى تجاوز التقاليد بإرساء مشروع يقوم على التمايز والإستمرارية.

(1) رينيه ديكارت، مقالة الطريقة، تر: جميل صليبا، تق: عمر مهيل، موفم للنشر، الجزائر، ط1، 1991، ص12-13.

(2) جلول مقورة، من الحادثة إلى ما بعد الحادثة، مجلة الدراسات والبحوث الإجتماعية، العدد28، 2018، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، ص392.

(3) سعيدي مجدي، الحادثة وأفق الإنجازات، مجلة مقاليد، عدد15/ديسمبر2018، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم الجزائر، ص82.

2. الحداثة ومركزية الكون:

تباين النقاد الغربيون والعرب في تحديد مفهوم للحداثة، فنجد جيف فاونتايين Jeff Fountain، في تعريفه للحداثة بأنها: «سلسلة من التحولات في المجتمع المعاصر قائمة على أساس التمدن، والتصنيع والعلم والتكنولوجيا، والتي أصبحت أساساً لفكرة الشك الديني، وعدم الإعتقاد بصحة الكتب المقدسة»⁽¹⁾.

وهذه التحولات غيرت حياة الناس بشكل جذري أصبحت الحياة أسرع والتفكير أكثر عقلانية، وأصبح الناس يعتمدون أكثر على العلم لتفسير العالم بدلا من الدين أو المعتقدات القديمة، أو بمعنى آخر الحداثة جلبت معها روح النقد والبحث عن الحقيقة بطريقة جديدة تعتمد على العقل والعلم أكثر من الإيمان التقليدي، وفي هذا السياق الحداثي برزت مركزية المؤلف كجزء من روح الحداثة التي تمجد الفرد وتقّس قدرته العقلية، والإبداعية، إذ أصبح ينظر إليه كمصدر أساسي للمعنى والمرجع الرئيسي لفهم النص الأدبي أو الفني، أما من جهة أخرى يذهب أدونيس Adonis في تعريفه للحداثة بأنها «قول ما لم يعرفه موروثنا، أو هي قول المجهول من جهة وقبول بلا نهائية المعرفة من جهة ثانية»⁽²⁾، فالحداثة عنده كائن متحول أو متحرك أبدي لا يستقر على حال ولا يريد السكون، ولا يهتم شيئا غير هذه الحركة، أو بمعنى آخر أنها سعي دائم لكسر القيود، وبحث مستمر عن طرق جديدة للفهم والتعبير، أو ما يسمى «بحركة الإستنارة التي ذهب إلى أن عقل الإنسان قادر إلى الوصول إلى قدر من المعرفة، ينير له كل شيء، أو على الأقل معظم الأشياء والظواهر، ويعمق من فهمه للواقع ولذاته وكان الافتراض أن هذه المعرفة هي التي تضيء على الإنسان مركزية في الكون، وهي التي ستمكنه من تجاوز عالم الطبيعة، بل وذاته الطبيعية، ومن

(1) خريسان باسم علي، مابعد الحداثة، دمشق، دار الفكر، ط1، 2006، ص47.

(2) أدونيس، الثابت والمتحول، دار الساقي، بيروت، ط9، 2006، ج1، ص19.

تغيير العالم والتحكم فيه، بحيث يصبح الإنسان إلها أو بديلا للإله»⁽³⁾، والتحكم في مجرياته، فلم تكن الحداثة نابعة من أهواء، أو مبنية على إفتراضات، بل كانت مجموعة تراكمات مختلف أصحابها في طبيعة الزاوية المقصودة، لكنهم اتفقوا على الغاية والهدف، وهو تحرير الإنسان وتنويره بالقدر الذي يجعله يحكم زمام أموره بوعي، ومن أهم أعمدها ومقوماتها العقلانية، فلا عقلانية دون اعتماد العقل وجعله الدليل والقائد في جميع مناحي الحياة، ونظرا لأهميته في إخراج الإنسان من عصر الظلمات والأهواء إلى عصر العلم والأنوار، وعرفت الحداثة به، وارتبطت به للحد الذي أصبح يتحدث عن عقلانية الحداثة، والحداثة العقلانية قامت على تبجيل الذات الإنسانية وتحريرها من كل قيد، بل وأصبح تبرير وجود الذات بالتفكير، وبذلك أصبحت مقر ومرجع الحقيقة واليقين وهي المركز والمرجع الذي تنسب إليه الحقيقة لكل شيء، أي تنصيب الإنسان ككائن مستقل وواع وفاعل ومالك للحقيقة كذلك نجد الحرية والتي تعد أساس الذات ودعامة العقل، لتحقيق وجود الإنسان، وإثبات ذاته فلا فكر دون عقل ولا فكر دون حرية، ولهذا فمدار الأمور كلها قائم على مبدأ الحرية؛ فمبدأ الحرية هو الذي يعطي الإرادة البشرية لأن تحقق ذاتها وأن لا تعلق عنها أية إرادة كونية أخرى، لتقيم مجتمعا وتؤسس دولا وتبني مؤسسات، وبذلك أصبح العقل والذات والحرية أضلاع مثلث التحدي⁽¹⁾.

فرغم ما أحدثته الحداثة من قفزة نوعية في الأدب والنقد الغربي، بتأكيدهما على العقل والذات واليقين، إلا أن هذا التمرکز حول العقل أثار تساؤلات جوهرية حول حدود المعرفة والتمثيل، فقد عملت الفلسفة النقدية الكانطية على زعزعة اليقين العقلي المطلق، لتفتح المجال أمام مقاربات بديلة مثل الفلسفة الماركسية التي كشفت عن البعد الإيديولوجي للوعي، والفلسفة

(3) عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، ط3، 2010، ص17.

(1) ينظر: بلخير أرفيس، الحداثة وجدل الذات والهوية بين الفكر والأدب، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج8

العدد05، 2019، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ص254-255-257.

الفرويدية التي أزاحت العقل الواعي من مركز التحكم لصالح اللاشعور، ومع تراكم هذه الردود النقدية، بدأت أسس الحداثة تتآكل تدريجياً، ممهدة لظهور فكر ما بعد الحداثة، الذي جاء ليقوض المقولات الكبرى، ويحتفي بالاختلاف والتشظي وتعدد المعاني.

3. ما بعد الحداثة والتمرد:

جاءت فكرة ما بعد التحديث وهو أسلوب فكري يشكك في المفاهيم التقليدية للحقيقة والعقل والهوية والموضوعية، وفي فكرة الاتجاه نحو التقدم والتحرر، وفي خيارات العمل التي لا خيار سواها، وفي القصص الشمولية أو في التفسيرات النهائية⁽¹⁾، ويتعامل معها بوصفها مفاهيم نسبية وخاضعة للسياقات التاريخية والثقافية، عندما ينطلق هذا الفكر مع رفض الاعتقاد بوجود مسار حتمي نحو التقدم والتحرر، مشدداً على أن مثل هذه التصورات تخفي أشكالاً من السلطة والإقصاء، كما يعرض ما بعد التحديث فكرة الحلول الواحدة أو الخيارات المطلقة مؤكداً تعددية السبل الممكنة للفهم والعمل، وينتقد في السياق ذاته السرديات الكبرى التي تزعم تقديم تفسير شامل ونهائي للعالم.

تأسيساً على هذا الطرح؛ فإن فكر ما بعد الحداثة يدعو إلى إعادة النظر في مفاهيم المعرفة والسلطة، وإلى تبني رؤية تنفتح على التعدد والاختلاف وتقويض الأنساق المغلقة، «وبدون إدراك هذه الخلفية تظهر لنا كتابات مفكري ما بعد الحداثة، وكأنها ألعيب لفظية أو أشباح مخيفة، أو أقوال فلسفية في غاية العمق، ولنبدأ بالحديث عن أهم فلاسفة اللاعقلانية السائلة والمادية الجديدة، والذي تأثر بنيتشه Nietzsche وهايدجر Heidegger، بحيث بدأ بالتمرد على البنيوية، لأنها حركة حاولت من الناحية الفلسفية أن تبتعد عن الذاتية الإنسانية، التي تتسم بها الوجودية، وعن الموضوعية المتطرفة التي تتسم بها الوضعية المنطقية، جاك دريدا J.Derrida

(1) ينظر: إينجلتون، أو هام ما بعد الحداثة، تر: منى سلام، أكاديمية الفنون، القاهرة، ط1، 1996، ص75.

الذي لاحظ أن البنية ملوثة بالميتافيزيقا، حيث ألقى مؤتمر أبرز فيه نقطة ميلاد التفكيكية»⁽²⁾ والتي جاءت لتفكيك العقل الغربي، والمركزية العقلية التي مجدوها والتي سادت لعقود من الزمن وفرضت سلطتها على الجميع، ونقد الصوت الواحد ودحضه، إلى جانب إعادة اعتبار للمهمش والمنسي والمقصي، وإعطاء أولوية للقارئ على حساب المؤلف مع تعدد القراءات وانفتاح النصوص، وألاعيب المعاني وفتح أبواب التأويل.

ومع تطور الدراسات اللغوية وهيمنة الطرح ما بعد الحداثة، لم يعد للمؤلف المكانة التي كانت له في عصر الهيمنة الكلاسيكية، إذ لم ينظر إليه بوصفه عبقرية مبدعا، بل باعتباره فاعلا لغويا مشروطا ببنية لا يملكها، وعقلا لا ينفرد بالحقيقة، ولا يهيمن على المعنى، فقد ورث اللغة كما ورثها غيره ولم يعد مصدرا أو منشئا وحيدا للنص، بل أصبح هذا الأخير فضاءً تتقاطع فيه أصوات متعددة،⁽¹⁾ تتوارى فيه سلطة المؤلف لصالح سلطة اللغة والخطاب والسياق، وفي هذا الإطار، لم يعد النص إنعكاسًا لعقل منفرد أو رؤية ذاتية، بل نتاجًا لعلاقات سلطوية ومعرفية تتحكم في إنتاجه وتلقيه، وهكذا أطاحت المناهج النقدية الحديثة وما بعدها بإمكانيات المؤلف التقليدية وسلبته سلطة التحكم في المعنى أو فرض مقصديته الذاتية، فجرد من صوته الفريد وفقدت عبقريته المفترضة قدرتها على اكتشاف حقائق مطلقة أو طرح رؤى غير مسبقة، في ظل انكشاف النص كتموضع للسلطة وتفكك للعقل المهيمن.

فأساس الكتابة من المنظور البارتي هو القضاء على كل صوت، لتغدو الكتابة ذلك الكون الحيادي الذي تضيع كل هوية بين سواده وبياضه، لأن نسبة النص إلى مؤلفه معناها إيقاف النص وحصره وإعطائه مدلولًا نهائيًا، إنها إغلاق للكتابة، وإعلان موت المؤلف يكون رولان بارت R.Barthes قد بشر بميلاد القارئ، وعصر القراءة حين يصبح القارئ منتجا للنص

(2) عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق، ط3، 2010، ص 69-70.

(2) ينظر: ميجان الرويلي وسعد ابازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3، 2002، ص 241.

بعدما كان متفرجا عليه أو مستهلكا له في أحسن الأحوال، ذلك أن الكتابة كما يشير بارت في خاتمة موت المؤلف لا يمكن أن تنفتح عن المستقبل إلا بقلب الأسطورة التي تدعمها، فميلاد القارئ رهين بموت المؤلف⁽²⁾.

وهكذا أستشعر ما بعد الحداثة، في خلخلة ميتافيزيقا الحضور، والكشف عن تناقضاتها الداخلية، متفادية الوقوع في فخ التقابلات الثنائية، (خطأ/صواب، خير/شر، حقيقة/لاحقيقة) ومقترحة بدائل أخرى كالأثر الذي يشير في نفس الوقت إلى إحياء الشيء وبقائه، محفوظا في باقي علاماته، والفارماكون **Pharmacon** الذي يعني السم والدواء، والإضافة **Supplemen** التي تنضاف من أجل تكملة أو سد نقص، وبذلك سيتم قلب النظام الهرمي الذي أقامته الميتافيزيقا الغربية، والانفتاح عن الهوامش، والكشف عن الخلفيات الثاوية وراء البديهيات والمسلمات التي إعتد عليها الفكر الغربي⁽²⁾، كما تصدر ما بعد الحداثة في فلسفتها عن مشارب متعددة، أهمها فلسفة الشك عند نيتشه والتحليل النفسي عند سيغموند فرويد **S.Freud** وهيرمينوطيقا هايدجر، كما أخذت عن سيميائية إيميرتو إيكو **U.Eco**، ونظرية التلقي مع مدرسة كونستوس الألمانية، لتعيد طرح العديد من التساؤلات التي ظن الفكر الغربي أنه تجاوزها، أو فصل فيها الحقيقة ووظيفة الكتابة وغيرها.

وترتكز إستراتيجية ما بعد الحداثة على عملية الحفر في طبقات الفكر الغربي، والبحث عن البؤر المركزية التي تنبني عليها تلك الخطابات والنظم الفكرية، ثم الكشف عن التناقضات الموجودة داخلها والتي تشكل نقاط الضعف فيها، وهكذا تتم مهاجمتها من الداخل والهدف من هذا كله

⁽²⁾ ينظر: رولان بارت، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلامين عبد العالي، دار توبقال، المغرب، ط1993، 3، ص87-86.

⁽²⁾ ينظر: جاك دريدا، إستراتيجية تفكيك الميتافيزيقا (حول الجامعة والسلطة والعنف والعقل والجنون والإختلاف والترجمة واللغة) تر: عز الدين الخطابي، إفريقيا الشرق، المغرب، دط، 2013، ص07.

هو هدم متعاليات الفكر الغربي وتحريره من سكونيته، ويمكن الإنطلاقة من هذا الفكر الما بعد الحداثي بالحديث عن التفكيكية ومدى تأثيرها بالفكر الفلسفي الدريدي في الفصلين الآتين.



الفصل الأول

في مصطلحية التفكير، التقنية والتأصيل

1. في مصطلحية التفكيك

1.1. التفكيك لغة:

جاء في معجم لسان العرب لابن منظور مادة - ف.ك.ك- أنه «يقال فككت الشيء فانفك وفككت الشيء خلصته»⁽¹⁾.

كما ورد في معجم الوسيط: «فك الشيء فكا أي فصل أجزائه، ويقال فك الألة ونحوها وفك النقود: استبدل قطعة كبيرة منها بقطعة صغيرة، فك الرهن أي فصله من يد المرتهن، فك الأسير وفك رقبته أي أطلقه وحرره، ويقال فك العقدة والغل والقيد، فك : مبالغة في الفك. افتك الرهن: فكه من الرجال: الشديد الحمق، ج فككة، الفكك، فكان الرهن والأسير مما فك به⁽²⁾، ف«التفكيك في اللغة يعني الفصل والتمييز، ويمكن القول ان المراد من التفكيك هو التقنية والتأصيل»⁽³⁾.

وعليه فالتفكيك يعني تحليل الأجزاء المكونة لفكرة أو نص بهدف فصلها وتمييزها مما يساعد في تنقية المفاهيم وتأصيل الفهم بشكل أعمق .

وفي اللغة الأجنبية فالتفكيكية **Déconstruction** معناها التشييد والبناء والمعنى العام في نظر جاك دريدا هو الهدم وإعادة البناء.

2.1. اصطلاحاً:

لقد استعمل جاك دريدا «مصطلح التفكيك لأول مرة في كتابه علم الكتابة الغراماتولوجيا متأثراً في ذلك بمصطلح التفكيك لدى مارتين هايدجر الذي شغله في كتابه الكينونة والزمان وليس

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ف،ك،ك)، ص325.

(2) ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة (ف، ك، ك)، مكتب الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2005 ص298.

(3) مجموعة مؤلفين، مهدي الأصفهاني في رائد التفكيك في المعرفة الدينية، تر: عباس جواد، ط1، بيروت، 2014، ص09.

التفكيك عند جاك دريدا بالمفهوم السلبي للكلمة، حيث ترد كلمة التفكيك من أجل إعادة البناء والتركيب، وتصحيح المفاهيم وتقويض المقولات المركزية، وتعريب الفلسفة الغربية التي مجدت لقرون طوال مفاهيم مركزية: كالعقل، والوعي والبنية، والمركز والنظام والصوت والإنسجام»⁽¹⁾، وعليه فالتفكيك كما استخدمه جاك دريدا هو منهج تحليلي يهدف إلى نقد المفاهيم المركزية في الفلسفة الغربية مثل العقل والنظام فهو عملية كشف التوترات والإختلافات التي تكمن وراء هذه المفاهيم بهدف إعادة بناء الفهم بشكل أوسع وأعمق.

رغم أن هذا «الواقع قائم على الإختلاف والتلاشي والتقويض والتفكك وتشعب المعاني وتعدد المتناقضات وكثرة الصراعات التراتبية والطبقية، ويعني هذا أن دريدا يعيد النظر عبر مصطلح التفكيك في مجموعة من المفاهيم التي قامت عليها الأنطولوجيا والميتافيزيقا الغربية تنويرا وتقويضا وتفجييرا، وهكذا فمصطلح التفكيك ليس بالمعنى الهدم السلبي، وليس بمعنى النفي أو الرفض أو التقويض والإنكار كما في فلسفة نيتشه بل إعادة البناء والتركيب وتصحيح الأخطاء وفضح الأوهام السائدة، فالتفكيكية تيار فلسفي وأدبي ظهر في ستينيات القرن العشرين وهي منهجية لمقاربة الظواهر الفلسفية والتاريخية والأدبية تشريحا وتفكيكا وتقويضا»⁽²⁾.

وبناء عليه يمكن أن تكون مقارنة نقدية فلسفية للنصوص أكثر مما هي أدبية، إنها «نظرية ما بعد البنيوية بإعتبار النظرية الأحدث زمنا، ولكنها تدل بالأحرى على أنه يعتمد على البنيوية كنظام تحليلي سابق، فتطور في فرنسا أمثال كانط I.Kant، هوسرل Husserl، نيتشه هايدجر وغيرهم»⁽³⁾.

(1) جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الالوكة، الناظور، المغرب، ط1، 2011 ص31.

(2) المرجع نفسه، ص32..

(3) جوليت ميتشل، البنيوية والتفكيك في النص الشعري، دار الكتاب الحديث، دط، 2011، ص75.

ويظهر من خلال هذا أن التفكيك يعتمد على تحليل النصوص بتقويض البنى المألوفة وفتح المجال لتفسيرات جديدة، عندما يقدم طريقة مبتكرة لفهم النصوص خاصة من خلال أعمال جاك دريدا الذي أبدع هذا المنهج كأداة نقدية لقراءة وتفسير المعاني الخفية وراء النصوص، أو بالأحرى المعنى.

فعبارة التفكيك تحمل معنيين متباينين: الأول واسع وشامل بينما الثاني محدود ودقيق ففي معناها الواسع يمتد التفكيك ليشمل أكثر من مجرد النقد الأدبي، ليصبح علامة دالة على اتجاه معين في مجالات السياسة، والتاريخ والقانون، حين يتداخل التفكيك في هذه الحقول المعرفية ليقوم بدور يشكك في أسس هذه العلوم بشكل جذري، مما يثير قلقاً لدى المحافظين الذين يشعرون أن هذا التوجه يهدم القيم والتقاليد التي تأسس عليها كل علم من هذه العلوم، من وجهة نظرهم يعتبر التفكيك مرادفاً للتطرف السياسي والنقد الهدام للأفكار الثابتة والمبادئ الراسخة بأسلوب معقد ومليء بمصطلحات غير واضحة .

أما من جهة مؤرخي أفكار المعاصرين، فإن مصطلح التفكيك، يستخدم للإشارة إلى التأثير الذي أحدثته أفكار نيتشه وهيدجر، بعد أن دخلت الحياة الفكرية العالمية وبخاصة في الأوساط الناطقة بالإنجليزية، فمن هذا المنظور يظهر النقد الأدبي التفكيكي كنوع من التقليد الأوروبي، الذي تم إدخاله على ثقافة أكاديمية كانت قد أهملت هذا الفكر سابقاً، أما في معناها المحدود أو الضيق، كمدرسة نقدية في الأدب، فإن تفكيك النصوص الأدبية يتطلب أن يكون الناقد ملماً بشكل كبير بالفلسفة، فالنزعة التفكيكية تعتبر من أقوى الحركات الفلسفية في تاريخ النقد الأدبي، حيث أن المفردات والمفاهيم، التي يستخدمها التفكيكيون مثل المتأفزيقا بمعناها الخاص عند هايدجر، قد تكون صعبة الفهم بالنسبة لمن لا يمتلكون خلفية فلسفية، وبالتالي يصعب وجود ناقد تفكيكي لم يدرس الفلسفة بشكل عميق، أو يشارك في نقاشات نظرية، وعلى

عكس الحركات النقدية السابقة التي كانت تسعى لوضع قواعد أدبية جديدة، لا تهدف النزعة التفكيكية إلى تأسيس أنظمة أدبية جديدة أو منقحة⁽¹⁾.

أو بعبارة أخرى فمصطلح التفكيك يحمل معان عدة فمنها من هو واسع ويشمل مجالات متعددة مثل السياسة والتاريخ، بينما يشكك في أسس هذه العلوم، ويثير قلق المحافظين الذين يرون فيه تهديدا للقيم الثابتة ومنها ما هو محدود ويقتصر على النقد الأدبي، حين يعتبر التفكيك حركة فلسفية تتطلب معرفة عميقة بالفلسفة، وهو لا يسعى إلى وضع قواعد أدبية جديدة، بل يعيد التفكير في المفاهيم والأسس الموجودة.

كان «مصطلح التفكيك **Déconstruction** مضللا في دلالاته المباشرة لكنه في دلالاته الفكرية العميقة يكشف عن ثراء وغنى خصبين، ففي الوقت الذي يوحي في دلالاته الأولى بالتهديم والتخريب والتشريح المقترن بالأشياء المادية، فإنه في مستواه الأخير يدل على تفكيك الخطابات والنظم الفكرية، على إعادة النظر فيها بحسب عناصرها، والإستغراق فيها وصولا الى البؤر الأساسية المتضمنة فيها، ولعل هذا هو ما جعل دريدا مؤسس الإتجاه، فيرى في التفكيك حركة بنائية وضد البنائية في آن معا، فنحن كما يرى دريدا نفكك بناء أو حادثا مصطنعا لنبرز بنياته و أضلاعه، أو هيكله، ولكن نفك في آن معا البنية التي لا تفسر شيئا، فهي ليست مركزا ولا مبدأ، ولا قوة، أو مبدأ الأحداث بالمعنى الكامل»⁽²⁾، فمثلا نأخذ بيتين من قصيدة أنشودة المطر لـ "بدر شاكر السياب":

(1) ينظر: مداخل إلى تفكيك البلاغة المعاصرة، جاك دريدا، بول دي مان وآخرون، وتر: حسام نايل، تص: م. بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2013، ص 366-367.

(2) صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة وأسئلة ومقاربات، دار نينوي، سوريا، دمشق، ط 1، 2015، ص 132.

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر

أو شرفتان راحة ينئ عنهما القمر⁽¹⁾

فالبيت هنا يبني صورة حميمية للمخاطبة لكن في الوقت نفسه تدخل دلالات الفقد والغياب (النأي، السحر، المطر)، فالمطر في البيت، من جهة رمز للخصب والتجدد ومن جهة أخرى رمز للحزن والبكاء، هل هو بناء إيجابي أم سلبي؟ لا يمكن تحديده بشكل قاطع، فإذا قرأنا البيت قراءة محاكاة، سنميل إلى البحث عن مركز دلالي واضح (الحب، الفقد، الوطن)، لكن التفكيك يرفض هذا التمرکز، فالمعاني تتولد باستمرار من خلال متناقضات النص نفسه، فالنص يقيم بنية لكنه يززعها في الوقت ذاته، فلا توجد قراءة نهائية له وهذا رأي عبد الله الغدامي على أن القصيدة نص مفتوح على الدلالات اللانهائية، بل هناك قراءات متعددة تنبع من تشابك الصور والتناقضات الداخلية، فالتفكيك لا يعني البحث عن المعنى الوحيد أو النهائي، بل الكشف عن البنية النصية في تحركها الداخلي وإظهار تناقضاتها، ومساءلة افتراضاتنا حول المعنى فالنص لا يعطينا إجابة واحدة بل يفتح باب التأويل على مصراعيه.

يقول دريدا في هذا الصدد: «إن كلمة تفكيك شأن كل كلمة أخرى لا تستمد قيمتها إلا من إندراجها في سلسلة من البدائل الممكنة فيما يسميه البعض ببالغ الهدوء (سياقا)، بالنسبة إلي وكما حاولت أو مازلت أحاول أن أكتب، لا تتمتع هذه المفردة بقيمة، إلا في سياق معين تحل فيه محل كلمات أخرى بأن تحددها الكتابة مثلا أو الأثر أو الاختلاف أو الزيادة، أو الهامش أو الباكورة أو الإطار؛ فما الذي لا يكون التفكيك؟ كل شيء ما التفكيك؟ لا شيء»⁽²⁾.

⁽¹⁾ بدر شاكر السياب، الديوان، دار العودة، بيروت ط1، 1971، ص474.

⁽²⁾ جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، تق محمد علال، سيناصر، دار توبقال للنشر، دار البيضاء المغرب، ط2، 2000، ص62-63.

يشير دريدا في هذا القول إلى أن معنى كلمة التفكيك لا يكون ثابتاً بل يتحدد من خلال السياق والعلاقات مع كلمات أخرى، ووفقاً له فإن المعنى يتكون ويفهم ضمن شبكة من البدائل المتاحة في اللغة، لذلك فهو ليس مفهوماً جامداً، بل هو عملية مستمرة تعبر عن طابع المعاني المتغير وغير المستقل، هذا التوجه يدعو إلى مراجعة دائمة بكيفية فهمنا للغة، وبشكل خاص فهمنا للمعنى بوصفه متحولاً ومتعدد الأبعاد .

2. التفكيكية، النشأة والميلاد:

كانت بداية «التفكيك» منذ نهاية الستينيات من القرن العشرين، وبلغ ذروة امتداده في الثمانينيات، وهو يمثل ما بعد البنيوية، وبعد امتداداً لها وخروجاً عليها في الوقت نفسه، وانتشر فكر دريدا - رائد التفكيك - الذي يقدم آراءه المصدر الفلسفي لهذا الاتجاه نقداً معرفياً للثقافة الغربية ولفلسفتها من أفلاطون **Platon** حتى العصور الحديثة وقد جاء التفكيك محاولة لفضح آليات أنتجها خطاب معرفي ادعى لنفسه حق العلو والإطلاق، إنه لنقد معرفي لإيديولوجيا التمرکز الغربي حول الذات»⁽¹⁾، وقد عد دريدا الثقافة الغربية متمركزة حول العقل والصوت والذات فهي حضارة لا تحتكم إلا إلى اللوغوس ولا تصغي إلى المنطوق والشفاهي، وتؤثره على المكتوب.

وقد أجمع «جمهور الباحثين أن التفكيك قد صاغت معالمه "ما بعد البنيوية" في ندوة بنيوية أصلاً، وهو ما يعني مرة أخرى أن التفكيكية قد تخلقت في رحم البنيوية، بينما يذكر جاك دريدا في إحدى المحاورات أنه حيث وضع مصطلح "**Déconstruction**" كان يفكر خصوصاً في استخدام هايدجر لكلمة التدمير "**Destruction**" بمعنى تحليل بنية ما عن طريق نشرها

(1) وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث رؤية إسلامية، دار الفكر، دمشق، البرامكة، ط1430، 2، 2009، ص183-

وبسطها على طاولة التشريح مثلما كان يفكر في كلمة **Abbau** الألمانية أي "Demontage" الفرنسية التي استعملها فرويد للدلالة «⁽¹⁾».

فالتفكيكية «نشأت في خضم دورة جديدة للشك الفلسفي الذي خيم على الحياة الغربية في جوانبها المعرفية فبعد أن تشكك الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط في تجريبية القرن التاسع عشر وقدرتها على تحقيق اليقين المعرفي، وإقراره لسلطة العقل، بمقولاته الميتافيزيقية العليا في ميادين المعرفة وبعد أن رجحت الكفة مرة أخرى لصالح العلم والتكنولوجيا وازدهرت النبوية كمنهج جديد في الدراسات النقدية والأدبية يهدف إلى تحقيق علمية النقد والأدب في آن غير أنه، وبعد الدمار الذي خلفته الحرب العالمية الثانية في أوروبا واليابان، بعد كارثة "هيروشيما وناكازاكي" النووية تم وعلى الصعيد المعرفي فشل المشروع البنيوي في تحقيق ظواهر المعنى على الصعيد»⁽²⁾.

وعلى «الصعيد العام فقدت الدراسات المختلفة خصوصياتها وتوهجها وظلت أسيرة النموذج اللغوي ووقعت في مأزق الوصفية والمعيارية الجامدة، وأصبحت نتائج التحليل فيها تطابق مهما اختلفت حقوقها بسبب اعتمادها نموذجاً واحداً مسبقاً»⁽³⁾.

2.1. التفكيكية والممارسة العربية:

تعكس الأزمة المصطلحية التي يواجهها تلقي التفكيك والمناهج النقدية الأخرى خارج بيئتها الأصلية حجم المعاناة التي يمر بها الخطاب النقدي العربي المعاصر، عند استعابه المدارس النقدية الغربية وقضاياها، فنذهب مباشرة إلى الناقد "عبد الله الغدامي"، فقد اختار مصطلح التشرحية بدلا التفكيكية، وهو اجتهاد خاص به لم يشاركه فيه أحد في كتابه الخطيئة والتكفير

(1) حوار مع جاك دريدا، أجراه هاشم صالح، الفكر الغربي المعاصر، بيروت، العدد 54-55، 1988، ص 108.

(2) مليكة بوجفجوف، التفكيكية. **Deconstruction**، مجلة التناس، جامعة جيجل، المجلد 16، ع 29، جوان 2021، ص 23.

(3) سعيد الغوامي، عبد الله إبراهيم، عواد ليلي، معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، ص 21.

فقد أوضح أنه واجه صعوبة في تعريب المصطلح فلم يجد من سبقه إلى ذلك حسب إطلاعه، حين تأمل في كلمات مثل النقص والفك، لكنه رأى أنهما تحملا لإحاءات سلبية، قد تسيء إلى الفكرة، كما فكر في استخدام التحليلية من منطلق "حل" بمعنى التفكيك لكنه خشي من اللبس مع "حلل"، بمعنى الدرس التفصيلي، وفي النهاية استقر على التشرحية أو تشرح النص، إذ رأى أن هذا المصطلح يعبر عن تفكيك النص بهدف إعادة بنائه مما يتيح مساحة للإبداع القرائي في التفاعل مع النصوص،⁽¹⁾ فمصطلح التشرحية الذي إقترحه الغدامي يعكس إجهاده في تعريب التفكيكية، بطريقة تتحاشى الدلالات السلبية، ورغم أنه لم ينتشر على نطاق واسع إلا أنه يعبر عن قراءة تفكيكية تعيد تشكيل النص.

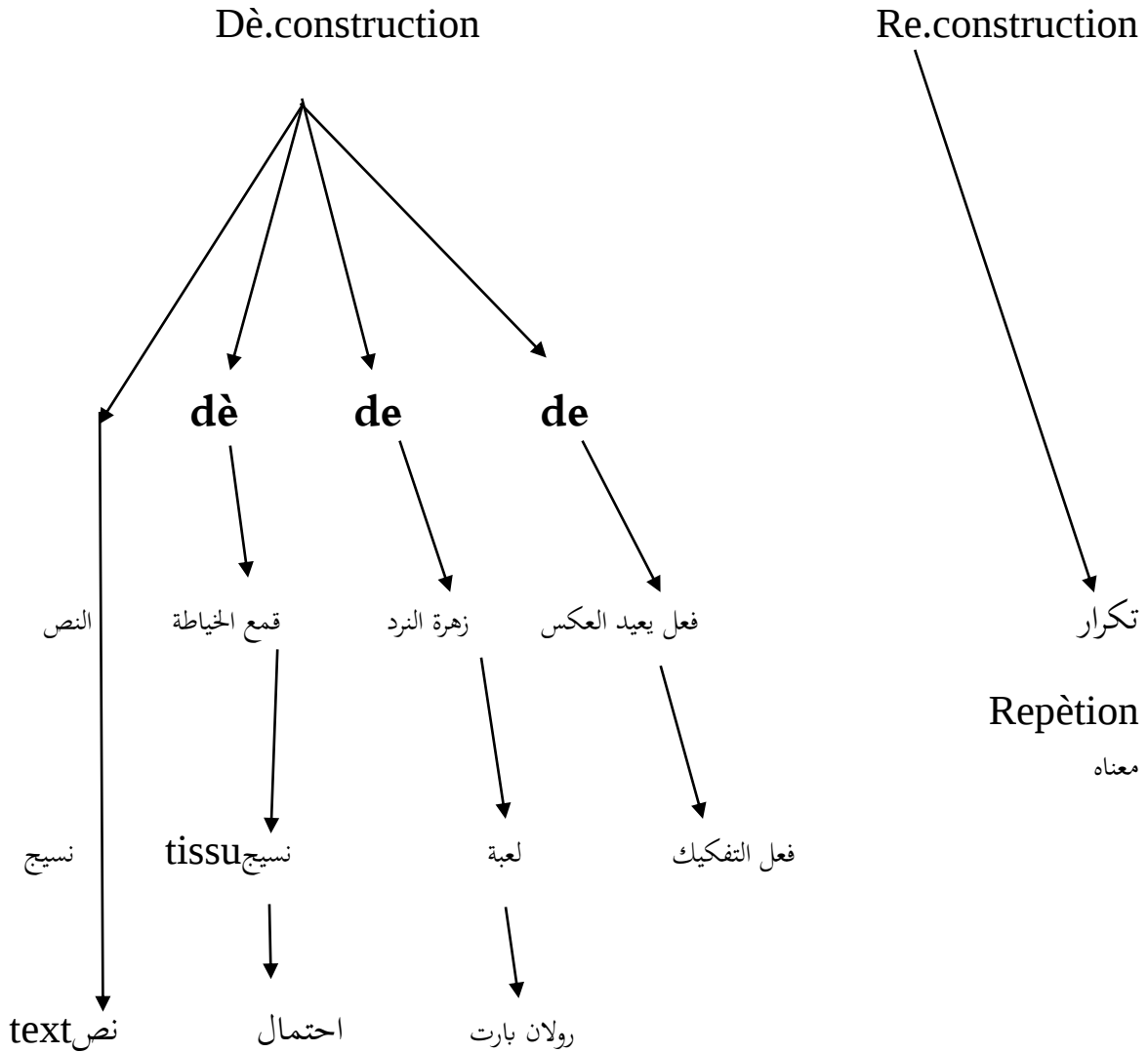
أما من جهة أخرى، فنجد الناقد الجزائري عبد المالك مرتاض في بحثه "نظرية التقويض" يقر أن استخدام النقاد العرب الحداثيين لمصطلحي التفكيك والتفكيكية ليس دقيقا إذ يفتقران إلى علاقة دلالية واضحة تعكس المفهوم الأصلي، ويؤكد مرتاض أن مصطلح التفكيك لا يستوعب الدلالة المعرفية لمصطلح **Deconstruction** في اللغتين الإنجليزية والفرنسية، بناءً على ذلك يقترح استبداله بمصطلح التقويض معتبرا أنه أكثر قدرة على التعبير على المعنى الفلسفي والمعرفي الذي قصده دريدا⁽²⁾.

ويجد "محمد شوقي الزين"، أن التفكيك ليس مجرد عملية هدم بل هو إستراتيجية فكرية تتسم بالبراعة والدهاء في تحليل النصوص والموضوعات بهدف زعزعة وكسر منطق الثنائيات الصارمة، وبهذا يتعد التفكيك عن الفهم السلي للهدم، أو عن الفكر الشائعة القائلة بالبناء بعد الهدم إذ أنه لا يتبنى أيا من هما.

(1) ينظر: عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير، من النبوية إلى التشرحية، المركز الثقافي العربي، ط6، 2006، ص48.

(2) ينظر: عبد المالك مرتاض، نظرية التقويض مقدمة في المفهمة والتأسيس، مجلة علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي جدة، مج10، 1999، ج34، ص279-280.

فالتفكيك كما يمارسه دريدا ليس محض تقويض، بل يحمل في طياته فعل البناء ولكن بطريقة مختلفة، فهو عملية تفكيك البنية الظاهرية للكشف عن عناصرها التأسيسية، بغية فهم آليات اشتغالها، ورصد اهتزازاتها الداخلية، يتجاوز هذا المنهج كل نزعة متعالية تدعي الإمتلاك الحصري للحقيقة رافضا التمرکز والفوقية، وعليه فهو دعوة لإعادة النظر وإنتاج تفكير جديد يحرر العقل من الرواسب الإيديولوجية والتصورات الميتافيزيقية التي تقيد حرية الفكر، بهذا يصبح التفكيك إستراتيجية تحليلية تستند على الاختلاف والتعدد والتجاوز عندما يعاد بناء المفردات وفق منطق جديد يتيح رؤى مغايرة، وللوصول إلى عمق التفكيك، حلل مُجد شوقي الزين مصطلح التفكيك وفق المخطط الآتي:



فالبادئة "De" من **Déconstruction** هي نص كنسيج، ولعبة كإحتمال، لعبة المعنى والتعبير والإشارة وتشابكها **Entrelacement** هي بالمعنى الجيولوجي للكلمة، وجود طبقات مترسية ينبغي نحتها وإزاحتها وهي بالمعنى الإستراتيجي للكلمة، أن هذه الطبقات هي طبقات منسوجة ومتشابكة بحيث يتعذر الكشف عن لحمة النسيج و"السلسلة"، فالنص إذن هو نسيج مركب من إشارات وتعبيرات ودلالات متداخلة تستدعي التفكيك والعزل لفحص بياناتها وجذورها المتضاربة.⁽¹⁾

ونجد الباحث الجزائري **بختي بن عودة**، الذي يسعى إلى آليات التفكيك الدريدي في مقارنة الواقع، فوظف النقد التقويضي كأداة لكشف البنى الخفية التي تقوم عليها الخطابات السائدة، والتي كثيرا ما تعيد إنتاج الأوهام، وتغييب الحقائق، وقد تمثل مشروعه في تفكيك الثقافة الراسخة وزعزعة المسلمات، وإعادة قراءة الواقع خارج الأطر الجاهزة في محاولة لإثارة الأسئلة وكسر النمطية، وفتح أفق جديدة للفكر والخطاب، ومن هنا فإن جهوده تندرج ضمن مسعى نقدي يعري الخطابات التضليلية ويفضح آليات إشتغالها، بحثا عن حقيقة مغيبة خلف ستار الإيديولوجيا والمعنى المستقر، وعلى هذا الأساس حدد بختي بن عودة مفاصل الهيكل العام لمشروعه الإختلافي الثوري، ونظر للتفكيك لا كمقاربة نقدية، بل إستراتيجية في الحياة وطريقة جديدة لتخليص التفكير من الدوغمائية المغلقة التي فرضتها محاكم التفتيش وحراس النوايا كما يدعو إلى ترويض الذات على معقولها، معقولها الذي يفاجئ التسترات الأكثر إضاءة للنفي والاستبعاد، الحجز والمنع والكبت، بل ترويض لها على مساءلة كل حي ناطق، بارز مهووس ودائم التغيرات وعليه يعتبر بختي بن عودة من

(1) ينظر: محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2015، 1436، ص207-208.

أوائل النقاد الجزائريين الذين دعو إلى ممارسة التفكيك في قراءة النصوص الأدبية العربية، وتفكيكه للعقل الجزائري من التسلط والثبات⁽¹⁾.

2.2. التفكيكية في الساحة الغربية:

اكتسبت التفكيكية منذ بروزها في ستينات القرن العشرين، حضورا لافتا داخل الساحة النقدية الغربية حيث وجدت من يحتضنها، ويدافع عنها في كل من فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية، ففي فرنسا، كان جاك دريدا في الولايات المتحدة الأمريكية، صدى واسعا خاصة في الحقل الأكاديمي، إذ وجدت لنفسها مقرا مؤسسا داخل جامعة ييل **Yale** وهي الجامعة التي احتضنت ما عرف لاحقا بحلقة ييل النقدية، وقد إرتبطت هذه المدرسة بعدد من الأسماء اللامعة في حقل النقد التفكيكي مثل جيفري هارتمان **G.Hartman** وبول دي مان **P. de Man** وهيلز ميلر **H. Miller** إلى جانب حضور دريدا الذي ظل المرجع الأبرز لهذا التوجه، وقد تفاوتت المواقف في تعريف التفكيك وتحديد طبيعته ووظائفه، ففي حين يرى الناقد كولر **Culler** سلبا أن التفكيك ليس نظرية تحدد المعنى لتخبرك كيف تعثر عليه، فإن الناقدة باربرا جونسون **B. Johnson** بأنه التمزيق الدقيق لقوى الدلالات المتصارعة في النص، في إشارة إلى أن النص ليس بنية مستقرة، بل هو ساحة للصراع الدلالي بين عناصره المتعددة والمتناقضة .

أما بول دي مان فيسلط الضوء على البعد الإجرائي للتفكيك، معتبرا أن تطبيق هذه المقاربة لا يستهدف بلوغ معنى نهائي أو مغلق، بل يسعى إلى إظهار التمفصلات والأجزاء المختبئة في الوحدات الجوهرية المفترضة وهو بذلك يفصح تحافت البنى التي يراها القارئ بشأن ما يعد مركزا، أو أصلا أو حقيقة ضمن العمل الأدبي⁽²⁾ ، أما بالنسبة لدريدا فقد رأى أن «الفكر الغربي

⁽¹⁾ ينظر: بختي بن عودة، رنين الحداثة، منشورات الاختلاف، وزارة الإتصال والثقافة، الجزائر، ط1، 1999، ص13.

⁽²⁾ ينظر: عبد المقصود عبد الكريم، ديفيد بوشبندر، نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر، مكتبة الأسرة، ط1، 2005 ص75.

المعرفي برمته، كان أسير ما سماه بميتافيزيقا الحضور، التي قادت إلى نتائج خطيرة على المستوى الحضاري والسياسي والإقتصادي، والعرفي جميعا، فكرست الفردية بدل من التعددية، والوحدة بدلا من الاختلاف، والكلام بدلا من الكتابة»⁽¹⁾، أو بمعنى آخر تفكيك المركزية العقلية والتحرر من قيودها، وكذا تفكيك النصوص وهدمها، وإعادة بنائها لإبراز المعنى الأصلي الذي كان مخفيا تحت أنقاض الميتافيزيقا .

3.2. التفكيك بين البنية والميتافيزيقا، دريدا وتجاوز المركز.

إن التفكيك ليس «فعلا قابلا لكي يصنف ضمن توجه معين، ذلك أن فعل التفكيك هو أولا فعل بنائي وغير بنائي في آن واحد، فالمنهج البنائي يقوم على أساس إستخلاص القالب الشكلي للبناء وإظهار بنيته ومفاصله أو جهازه الفقري، لكنه من جهة أخرى يبحث عن مركز هذا البناء إنه مهووس بالبحث عن المركز، ومن ثم فهو يظل في نظر دريدا منهجا ميتافيزيقيا حين يقول دريدا «يظل الخطاب المهيمن في حقل الفكر الغربي، وبالخصوص فرنسا، ولنسمه بنيويا مأخوذ اليوم في غشاوة بنيته وهي أحيانا الأكثر خصوبة داخل الميتافيزيقا في حين يتمثل مشروع ديريدا في مجابهة الميتافيزيقا عبر زحزحة المركز نفسه، ومن ثم يعتبر دريدا أن التفكيك لا يمكن رده إلى مجرد منهج، ولا إلى مجرد تحليل، بل إن التفكيك يتجاوز مجرد القرار النقدي أو الفكرة النقدية صحيح أنه يستعين ببعض طرق وأدوات ومفاهيم البنية لكنه لا يضل في سجن ميتافيزيقاه»⁽²⁾.

وبناء عليه فإن التفكيك لا يمكن تصنيفه كمنهج نقدي تقليدي، بل هو مشروع فكري يتجاوز البنية والميتافيزيقا عندما يهدف إلى زحزحة المركز الذي تسعى المناهج البنيوية لإبرازه وبالتالي هو ليس مجرد تحليل أو أداة نقدية، بل عملية فكرية لإعادة النظر في أسس المعرفة والفكر

(1) صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة، أسئلة ومقاربات، دار نينوي، سوريا، ط1، 2015، ص133.

(2) محمد الشيخ، مامعنى التفكيك لدى جاك دريدا، أصوله الفلسفية وضوابطه المنهجية وتطبيقاته التربوية، دار البدائل، القاهرة 1967-1984، ط1، 2014، ص93.

فتفكيك الميتافيزيقا يتم إنطلاقاً من خارج ما، خارج لا يمكن وصفه، وذلك لأن الميتافيزيقا خطاب مغلق ولا يمكن محاورته إلا من خارجه وخارج الخطاب الميتافيزيقي، وكثيراً ما يقف دريدا عند كلمة (الخارج)، وكلمة (الحد)، إذ الحد لا يعني أبداً النهاية أو الموت، فالحد يمكننا من ملاقات الفلسفة من ناحية فهي نظام معرفي يعمل داخل ضرورات أساسية وتعارضات مفاهيمية، وعليه يقول دريدا «لن يكون للإنغلاق الميتافيزيقي شكل خط ولا بالخصوص شكل دائرة محيطة بحقل منسجم مع ذاته في داخله، كما أن خارجه سيكون أيضاً على النحو عينه، فإن للحد شكل شروحات مختلفة وتوزيعات تحمل النصوص الفلسفية أمارتها وعلاماتها»⁽¹⁾.

ويوضح فدريدا إلى أن الميتافيزيقا ليست بنية مغلقة وثابتة، بل هي مليئة بالتشققات والتوزيعات حيث تحمل النصوص الفلسفية علامات تعكس هذه الشروحات والتناقضات الداخلية.

3. ماهو نشاط التفكيك الذي يمارسه دريدا؟

1.3. حقيقة النشاط التفكيكي:

بما أن التفكيك استراتيجية نقدية في تحليل النصوص وفحصها، فهو يسعى «إلى كسر منطق الثنائيات المتافيزيقي: (داخل/خارج، دال/مدلول، واقع/مثال)، لإقرار حقيقة المتردد اللايقيني في عبارة (لا هذا، لا ذاك) فما وجده جيل دولوز DELEUZE في النسق الأفلاطوني (عنصر التشابه أو الإبهام)، سيجد دريدا في النسق الأفلاطوني مفهوم الترياق والذي يعني لا الداء ولا الدواء، فلا يعني التفكيك الذي يمارسه دريدا مطلقاً الهدم، وإنما أيضاً يتضمن فعل البناء أي البناء بنمط مختلف، فهو بالأحرى تفكيك وحدة ثابتة إلى عناصرها ووحداتها المؤسسة لها لمعرفة بنيتها

(1) محمد الشيخ، مامعنى التفكيك لدى جاك دريدا، ص 94-95.

ومراقبة وظيفتها، فالتفكيك يقتضي التعدد والتشتت بإزاحة مركزية توزع المراكز»⁽¹⁾، ففلسفة التفكيك التي تهدف إلى كسر الثنائيات الميتافيزيقية، وتبحث عن الحقيقة في التردد واللايقين.

ويقدم **دريدا** في السياق ذاته فكرة الترياق أو المضاد أو العلاج الذي يعني لا هذا ولا ذاك بينما **دولوز** يتحدى النسق الأفلاطوني التقليدي بشكل عام، وعليه فالتفكيك يعزز التعددية ويبتعد عن المركزية ويستبدل المركزية بلامركزية .

تقوم إستراتيجية التفكيك على حركتين متكاملتين تتطلب منا الحيلة والحذر في تنشيط الذاكرة وتحريكها تحريكاً لغوياً واقتصادياً:

1. القلب Le renversement: بمعنى قلب التراتبية العنيفة التي أقامتها الميتافيزيقا من المفاهيم وذلك بحل شبكة التعارض وتزييفها، ونحن في مرحلة القلب هذه نحذر من خطرين:

✓ **الخطر الأول:** وهو خطر التحييد البسيط للتعارضات التي تقيمها الميتافيزيقا والاستقرار البسيط محل هذه التعارضات، فيتم استبعاده عن طريق الوعي الحاد بأن ضرورة مرحلة القلب ضرورة بنائية وليست زمنية، وذلك لأن التعارض الثنائي سرعان ما يقوم من جديد وينتفش إنطلاقاً من أنقاض النسق المفكك .

✓ **الخطر الثاني:** يتمثل في سعي البعض إلى القفز البسيط خارج الأنساق المفككة وخارج الفلسفة والتعارضات الكلاسيكية، وهذا ما يعتبره **دريدا** انزلاقاً في مهاوي (تيولوجيا سلبية) مع نسيان أن هذه التعارضات لا تكون نسقا نسقا معطى، وإنما تشكل في الحقيقة فضاء غير متوازي على أنه متراتب تعبره قوى تعمل على إغلاقه إنطلاقاً من ذلك الخارج الذي يكبته أو يطرد عناصره المتمردة، فمثلاً نجد في الفكر الغربي غالباً ما ينظر إلى الذكر باعتباره

(1) محمد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات، فصول في الفكر الغربي المعاصر، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015، ص207-208.

المعيار الرئيسي، أو بالمعنى الأصلي المركز، ويعتبر الأثنى مجرد ثانوي أو بالأحرى هامش، وعليه هذا القلب يهدف إلى تفكيك الفكرة المسبقة بأن الذكر هو المركز، والأثنى هي الهامش.

2. الزحزحة: **Les Deplacement** ذلك أنه يقوم على التحييد والرسم وبيان الحدود، ونقل المفاهيم من مكانها واجتثاثها من أصولها الميتافيزيقية، فيجب إذا في لحظة ثانية ضبط المفاهيم النقدية لخطاب تفكيكي حذر ودقيق مع تحديدها وتحديد ظروف فعاليتها مع تطعيمها وزرع مفاهيم جديدة فيها، تمنع شكل التعارض الميتافيزيقي السابق من جديد» (1).

فمثلا قد يوجد في التصور التقليدي، أن الهوية تُفهم كشيء ثابت ومحدد، أما في الجانب التفكيكي تظهر الهوية وتتشكل من خلال الاختلافات والعلاقات مع الآخرين، وليست ثابتة بحيث يتم زحزحة مفهوم الهوية من الثبات إلى المتعدد والمتغير.

4. النقد التفكيكي، المصطلحات لبناء المستقبل من الفوضى :

يعتمد التفكيك على مجموعة من المصطلحات أو آليات تُشكّل جوهر إستراتيجياته في القراءة والتأويل وهذه المصطلحات تخرج عن المنهجيات التقليدية التي كانت سائدة في البحث والدراسة، وهي مفاهيم تعيد تشكيل طريقة فهمنا للمعنى والنصوص، فتُساهم في كسر الأفكار الثابتة والمعتقدات السابقة عن المعرفة ومن أبرزها:

1.4. **الاختلاف: Difference** : تُعد مقولة الاختلاف إحدى المرتكزات الأساسية للمنهجية التفكيكية، وقد حدّد دريدا مفهومه لها، في بحث بعنوان الاختلاف نشره في كتابه **الكلام والظاهرة** وقبل التوغل في فاعلية هذه المقولة في البرنامج التفكيكي لابد من تقصي دلالتها اللغوية وجذورها المهجنة من عدد هذه المفردات، فذلك إنما يكشف عن جزء من عدم استقرار التفكيك على ما هو يقيني ودعوته للدخول في شبك الاحتمالات المتزايدة.

(1) مُجّد الشيخ، ما معنى التفكيك لدى جاك دريدا، أصوله الفلسفية وظوابطه المنهجية وتطبيقاته التربوية، ص 91-92-93.

كذلك يمكن إستنادًا إلى كشف دلالات المعجمية ل **Difference** حسبما وردت في كتابات دريدا، بحيث كشفت عدة مفردات لها حقول دلالية تؤلف نسيج هذا المصطلح وهي جميعا أفعال ذات خواص زمانية ومكانية، وهي كالاتي:

✓ **To Differ** وهو فعل أو مصدر يدل على عدم التشابه والاختلاف في الشكل والخاصة.

✓ **Differe** وهي مفردة لاتينية توحى بالتشتت والإنتشار والتفرق والبعثرة .

✓ **To Difer** يدل على التأجيل والتأخير والإرجاء والتعويق⁽¹⁾ .

فالإختلاف تعارض للدلالات بين العلامات حين تكون كل علامة مختلفة عن الأخرى وتنتج سلسلة لانهائية من العلامات المؤجلة، بمعنى أنه لايتوقف عن نقطة ثابتة بل يفتح المجال لإحتمالات متعددة ومتزايدة، «ويحاول ليتش **Leach** أن ينغمر في موحيات الإختلاف فيعقب مؤكداً أنه عندما نستخدم العلامات، فإن حضور المرجع والمدلول يرتبط بالحضور الذاتي للدال الذي يظهر لنا من خلال الوهم والمخادعة بصورة مفاجئة، فليس هناك حضور مادي للعلامة . هناك لعبة الإختلاف فقط، فالإختلاف ينتهك ويحتاج العلامة محولا عملياتها إلى أثر، أو شيء وليس حضورا ذاتيا لها، وإذا كانت اللغة سلسلة لامتناهية من المفردات التي لا أصول لها بعيدا عن سياق اللغة، فإن الكلمات تتميز باختلاف كل منها عن الكلمات الأخرى، بيد أن هذا يؤدي إلى نتيجة مهمة وجوهرية في الادعاء التفكيكي الذي يستमित من أجل المغيب في اللغة»⁽²⁾ .

نفهم من خلال هذا السياق أن العلامات اللغوية ليست ثابتة أو حقيقية بل تخضع للإختلاف المستمر فاللغة عند ليتش عبارة عن سلسلة لانهائية من الكلمات التي تميز كل واحدة عن

(1) ينظر: عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي، معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط2، 1996، ص117-118.

(2) عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي، معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، ص119.

الأخرى مما يجعل المعنى غير ثابت ويكشف عن الخداع والتضليل بدلا من الحضور الواضح للعلامة هذا يدعم فكرة التفكيك التي ترى أن اللغة تخفي المعنى ولا تقدمه بشكل مباشر .

2.4. التمرکز حول العقل Logocentrisim:

مادام العقل من المقولات المركزية الكبرى للفكر الفلسفي الغربي، فمن الطبيعي أن جاك دريدا كان ثائراً على فكرة تمرّكه وسلطته المطلقة «لأنه يتضمن مجموعة من الدلالات كالوحدة والهوية والانسجام والحضور ومركزية الدوال الصوتية، ويهدف دريدا من وراء التمرکز العقلي إلى هدم ذلك التمرکز وجوديا بوصفه حضوراً لا متناهيّاً جاعلاً من هذه المقولة دليلاً لنقد مفاهيم التمرکز هادفاً إلى معاينة نضم المقولات المعتمدة على الحضور، ويدعو إلى ضرورة التفكير بعدم وجود مركز، فالمركز لا يمكن لمسه في شكل الوجود، بل ليس له خاصية مكانية كما إنه ليس مثبتاً موضعياً ووظيفياً إنه في حقيقة الأمر نوع من اللامكان وبغيابه وتقويضه يتحول كل شيء إلى خطاب وتذوّب الدلالة المركزية أو الأصلية أو المفترضة أو المتعالية، وينفتح الخطاب على أفق المستقبل وتتحوّل قوة الحضور بفعل نظام الاختلاف إلى تخصيب الدلالة المحتملة»⁽¹⁾.

وعليه فإن دريدا ينتقد هيمنة العقل في الفلسفة الغربية التي بدأت مع أفلاطون حيث تم اعتبار العقل أساساً ثابتاً للمعرفة، فهو يرى أن هذا التمرکز هو في حقيقته تمرکز حول الصوت إذ ارتبطت الحقيقة بالحضور المتكلم مع ذاته.

وسعى دريدا إلى تفكيك هذا التمرکز لكشف هيمنة المفاهيم المطلقة، وإبراز أنظمة دلالية مهمشة من خلال زعزعة يقينية الفكر الغربي التقليدي، وإخراجه من فوضى الثبات، ومنه يكون الطرح الدريدي عن أبرز الحقول المعرفية التي امتد إليها النقد حول التمرکز العقلي المنطقي؟

(1) كمال عبد الرزاق صالح، الحضور والغياب في ضوء النظرية التفكيكية لجاك دريدا، الجامعة المستنصرية، مجلة كلية التربية العدد 2، 2017، ص 32-33.

✓ الأولوية الإستراتيجية: ويقصد بها عد العقل والإدراك الحسي مركزا للحضور وحقيقة الأمر
أنهما ليسا إلا نتاجا لوحدة العقل والحقيقة .

✓ الأولوية التاريخية: تظهر في حالات ثلاث هي: (التمظهر الميتافيزيقي للروح المثالية، خلل
زمنية الجسد وتعالى الأشكال بوصفها تعريفات أبدية، ومقولات الخالق بوصفها ذات
حضور أبدي)

✓ الأولوية الجنسية : وذلك بواسطة الذكورية الشخصية والغرور، وكل هذا يعزز هوية الذكر/
الرجل وحضوره، ولفقدان هذه الخاصية عند المرأة كان مصيرها الغياب، وكان إنحصار
الثقافة والعقل لهذا القطاع من البشر .

✓ الأولوية الوجودية : تعد من أهم الحقول لمنهجية دريدا، ومن أهم ملامح الميتافيزيقا وترتبط
بجذورها إلى النموذج الذي حدده أفلاطون في الحقيقة بوصفها حوار صامت مع النفس
وأرسطوAristote الذي عدها تفكيرا ذاتيا وذلك من أجل تحديد ماهية الهوية الذاتية
وإليها بالذات يتقدم دريدا ببرنامجه التفكيكي⁽¹⁾.

3.4. علم الكتابة: وجدنا في التأويل الدريدي من قراءته التفكيكية لنصوص أفلاطون، حيث يعالج
أفلاطون مسألة الكتابة في مقابل الحضور الحي للكلام المنطوق، فيرى دريدا أن أفلاطون يضع
الكتابة في مرتبة أدنى من الكلام، باعتبارها مجرد نسخة مشوهة عنه لكنها في الوقت نفسه ضرورية
لأنها تتيح استمرارية المعرفة، حتى في غياب المتكلم وهنا تتجلى مفارقة المعنى أو الإزدواجية التي
سنشير إليها:

✓ إضافة / إضافة: الكتابة هنا تبدو وكأنها تكرر زائد، ولكنها ضرورية لضمان نقل الفكرة.

✓ دال / دال: الكتابة هنا تعمل كالدال على الدال، ما يجعل المعنى زلقا ومتأرجحا .

(1) ينظر: عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي، معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، ص 128-129 .

✓ ممثل / ممثل: الكتابة هنا تمثل الكلام، ولكنها ليست أصلاً، بل نسخة عن نسخة⁽¹⁾.

وعليه فجاك دريدا يكشف عن هذا التوتر ليبين أن الكتابة ليست مجرد أداة ثانوية، بل هي شرط لإمكانية اللغة نفسها، مما يقلب التراتبية الأفلاطونية بين الكلام والكتابة هذا ما يجعلها في نظر أفلاطون شراً لا بد منه، لكنها في التفكيكية تصبح مركزية لفهم بنية المعنى ذاته.

أما بالنسبة لـجون جاك روسو J.Jaques Rousseau، فيرى أن الكتابة ليست واحدة موحدة بل هناك نوعان من الكتابة: الكتابة الحميدة والكتابة الذميمة، فالأولى طبيعية متجذرة في الإنسان كأنها وشم إلا هي محفور في الجسد؛ أي أنها إنعكاس مباشر لذات الإنسان أما الثانية فهي إصطناعية وتقنية، أي أنها ليست جزءاً من الطبيعة البشرية، كما أنها خارجية ومنفصلة عن الجسد ومحطمة للحضور، أي أنها تفصل الإنسان عن ذاته، وعليه فدريدا في تفكيكه لنظريات روسو، يرى أن هذا التقسيم بين الكتابة الحميدة والذميمة يشبه ثنائية أفلاطون بين الكلام الحي والكتابة الميتة حيث يتم تفضيل الحضور (الكلام) على الغياب (الكتابة)⁽²⁾.

فدريدا يكشف عن هذا التناقض ويرى أن روسو يعيد إنتاج نفس الفكرة التي تفضل الكلام الشفهي على الكتابة، لكنه في النهاية عالق داخل الكتابة نفسها، مما يجعل نقده غير حاسم، فـ«علم الكتابة التي أرادها دريدا هو سعي لإخلاله محل السيميولوجيا السويسيرية، لأن هذه الأخيرة تتضمن شحنة من التمرکز الموروث، فيما هو يريد من علم الكتابة أن يتجاوز هذه النزعة ويتحرر من استراتيجية الأحكام الإقصائية التي تغلغت في السيميولوجيا، وذلك بإستخدام مفهوم الأثر، بدل مفهوم العلامة، فطموح دريدا من علم الكتابة أن ينجز مهمة استئناف النظر محدد دور الكتابة طبقاً لنظرة جديدة مغايرة لما كان شائعاً من قبل، ذلك أن الميتافيزيقا الغربية قد

(1) ينظر: محمد الشيخ، ما معنى التفكيك، مشروع التفكيك لدى جاك دريدا، أصوله الفلسفية وروابطه المنهجية وتطبيقاته التربوية، ص 113.

(2) ينظر: محمد الشيخ، ما معنى التفكيك لدى جاك دريدا، أصوله الفلسفية وروابطه المنهجية وتطبيقاته التربوية، ص 116.

طمست أهمية الكتابة وأعاد بناء التصور حولها ما يجعلها غطاء الكلام المنطوق، فدريدا يريد لها أن تكون كيانا مميزا»⁽¹⁾.

4.4. القراءة:

يرى دريدا أن النص ليس ساحة تباينات، ومجالا للتوتر والتعارض، وحيزا للتبعثر والتشتت وذلك عندما يولد دوما من القراءة، في تفكك للبنى وانفجار للمعنى، وتشظي للهوية، ويلاحظ دريدا من النصوص أنها ليست متجانسة دائما ويحدد مطلبه من القراءة بقوله: «مايهمني في القراءات التي أحاول إقامتها هو ليس النقد في الخارج وإنما الاستقرار والتموضع في البنية غير المتجانسة في النص، والعثور على توترات أو تناقضات داخلية، يقرأ النص من خلالها نفسه ويفكك نفسه، فأن يفكك النص نفسه فهذا يعني أن يتبع حركة مرجعية ذاتية»⁽²⁾.

فما يميز هذا الطرح هو تركيز دريدا على القراءة ثم القراءة، غير أنها ليست عملية استخراج المعنى بل هي فعل يكشف عن هشاشة النص وتوتراته الداخلية، أي عبر تتبع الإنصداعات والإختلافات التي تجعل النص يفسر ذاته وينقض بنيته من داخله، وعليه يرفض دريدا فكرة القراءة بوصفها سعيًا للوصول إلى حقيقة ثابتة بل يعتبرها ممارسة تكشف عن اللعب الحر للعلامات حيث المعاني تتولد باستمرار دون أن تستقر.

فالقارئ يمثل في العملية التفكيكية أفق التوقعات، بمعنى أن القراءة التفكيكية تقوم على أساس السؤال الآتي، ماذا يتوقع القارئ أن يقرأ من النص؟ ولا يمكن أن يحدد أفق هذا التوقع سوى ثقافة القارئ وقراءاته السابقة، أو تربيته الأدبية والفنية، فعملية القراءة مركبة، يمثل فيها

⁽¹⁾ رشيد خلايفي، عمر عيلان، مجلة قراءات، مقولات التفكيك في تحليل الخطاب الروائي، قراءة أولى، دط، عدد1، 2021، ص234.

⁽²⁾ جاك دريدا، مقابلة أجراها، كاظم جهاد، مجلة الكرمل، عدد17، ص59، عند عبدالكريم درويش، فاعلية القارئ في انتاج النص، المرايا الامتناهية، مجلة الكرمل، 2010، ص209.

السياق دورا خاصا، وهكذا فإن المعنى في النص لا يتحدد إلا من القارئ، وليس له معنى قائم بنفسه، ولكن لابد لنا هنا من الإشارة إلى أن أفق النص هو الذي يحدد سياقاته، وبما أن الأفق مفتوحا في التفكيك فهذا يعني أن المعنى نفسه كذلك، ويحدد هذا المعنى كل مرة، التاريخ والزمان الذي يعيش فيهما القارئ، لأنه يستمد منهما ثقافته ومعرفته لكي يقرأ، بهذا يصير تفسير النص حوارا دياكتيكيا بين القارئ والنص نفسه، وبين الأسئلة التي يطرحها هذا القارئ والأجوبة التي يقدمها له النص المقروء⁽¹⁾.

وبالتالي يتضح لنا أن القراءة التفكيكية تعيد النظر في مفهوم المعنى بإعتباره غير ثابت، وإنما متغير تبعا لأفق توقعات القارئ لأنه ليس مستهلكا سلبيا للنص بل هو جزء من إنتاج للمعنى كما أنه لا يمكن الحديث عن معنى واحد ونهائي، بل عن شبكة من المعاني المتغيرة وفقا للقراءة والتلقي وهو ما يجعل كل قراءة تأويلا جديدا للنص «كما يرى بارت أن القراءة هي لعب الخيال الذي يضيء دروب بنية هناك مكان لقراءة تحتزن النص في معنى أحادي، وأصبحت القراءة إبداعا يعيد كتابة النص، ويدخل معه في علاقة جسدية النص، وهي لم تعد البنية البنائية، وإنما غدت مفتوحة على التحليل النفسي وهكذا فلم يعد ، ذلك هو مصدر فعل قرأ»⁽²⁾.

5.4. الإرجاء (التأجيل):

ومن الاستراتيجيات التي تبناها الفكر الدريدي، فلسفة التأجيل أو الإرجاء فهو «ينتج عن الاختلاف، إختلاف الدوال والتداخل بينها إذ في الوقت الذي يشير لفظ يختلف إلى التمييز، أو عدم التساوي أو التفرط، يعبر من ناحية أخرى عن تداخل العوامل المؤثرة في عملية التأخر أو

(1) ينظر: عبد العزيز حمودة، المايا المحدث من البنيوية إلى التفكيك، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، نيسان، 1998، ص 323-324.

(2) بن عبد العالي عبد السلام، نظرية الكتابة عند رولان بارت، التجليات في النقد العربي المعاصر، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، مجلد 35، عدد 139، ص 217.

التباعد، أو الإطالة التي تؤجل المعنى حتى فيما بعد، أي ماهو ممكن ولكنه غير ممكن في الوقت الحالي، فالمعنى مرجأ معلق على إشارات وألفاظ أخرى قد تأتي وقد لا تأتي، وقد أشار جاك دريدا إلى هذا الإرجاء بقوله: إن لغة الأدب لا تعتمد فقط على مبدأ المخالفة والتمايز، بل على مبدأ الإرجاء فالنص الأدبي لا يحدد المعنى، بل يرجؤه أو يقيه في حيز الإمكان، بحيث لا يكون النص علامة على معنى، بل هو نفسه منتج لمعنى، وهو ما عبر عنه بارت بقوله إن عمل الناقد ليس اكتشاف معنى العمل الأدبي، ولا حتى بنيته، وإنما هو إظهار عملية البناء نفسها أو اللعب المستمر بين سطوح المعنى»⁽¹⁾.

فالمعنى هنا ليس ثابتاً أو محدداً، بل هو مؤجل دائماً نتيجة تداخل الدوال وإختلافها، فالنص الأدبي لا يمنح معنى نهائياً بل يظل في حالة من الاحتمال والتأجيل المستمر، فقد يتشكل المعنى من خلال علاقاته بدوال أخرى قد تأتي لاحقاً أو قد لا تأتي أبداً فهذا يجعل القراءة عملية مفتوحة على تأويلات متعددة حيث لا يكون النص مجرد وعاء لمعنى جاهز، بل فضاء لإنتاج الدلالات باستمرار.

6.4. الإنتشار والتشتت:

كذلك من بين الاستراتيجيات المتبعة من قبل التفكيك التشتت؛ يعني «أن المعنى بسبب غياب مركزية النص والعلاقة اليقينية بين الدال والمدلول يبقى مرجأ و كذلك متناثراً مبعثراً منتشراً يصعب ضبطه أو التحكم فيه، وليس في وسع المرء إمساكه، إنه مشتت متناثر على سطح النص في حركة تبعث في نظر التفكيك على المتعة وتثير عدم الاستقرار والثبات»⁽¹⁾، فالمعنى غير مستقر ومؤجل ومتشتت، يمنح النص انفتاحاً تأويلياً وبهذا تنتشر الدلالة على سطح النص وتتعدد دون

(1) وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث، رؤية إسلامية، دار الفكر، دمشق، ط2، 2009، ص194-195.

(2) المرجع نفسه، ص196

مركز محدد، مما يخلق نصا متشظي المعنى، مفتوحا على التأويل، فمثلا نذهب إلى مقطع من قصيدة (غدا نلتقي) لنازك الملائكة في قولها:

غدا نلتقي ويسود السكون

سكون الخريف

وأسمع تحت الماء الحنون

صراخا عنيف⁽¹⁾

فهنا يتجلى الإرجاء الزمني من خلال لفظة "غدا" التي تشير إلى لقاء مؤجل، وغير متحقق، مما يجعل المعنى معلقا، في أفق الإنتظار، وكذا يظهر الإرجاء الدلالي في تناقض العبارات "الماء الحنون" يقابل "صراخا عنيف" و "سكون الخريف" يوحي بالموت لا بالهدوء، مما يجعل المعنى غير مستقل قابل للتعدد والتأويل، وهكذا لا يمنح النص معنى نهائيا، بل يبقيه مفتوحا مؤجلا ومعلقا، بين دوال متضادة، في انسجام تام مع منظور للتفكيك الذي يرى النص منتجا للمعنى لا كاشفا عنه.

7.4. الأثر LaTrace: يرى دريدا أن الأثر يمثل «قيمة جمالية تجري كل النصوص وراءها ويتصيداها كل قراء الأدب، ويرى أنه التشكيل الناتج عن الكتابة، وهو ما يحدث عندما تتصدر الإشارة الجملة، وتبرز القيمة الشعرية للنص»⁽²⁾.

فالأثر ليس شيئا ملموسا، بل هو بقايا المعاني السابقة والمحتملة، التي تترك أثرا في النص فعندما نقرأ نصا لا نواجه معنى ثابتا أو مباشرا، بل نلمح ظلالا لمعاني أخرى، كأن المعنى دائما يهرب، ويترك أثرا لما كان يمكن أن يكون فهو ليس المعنى الحاضر، بل يغيب ولكنه يترك ايجاء، ما يجعل النص مفتوحا للتأويل ومتعدد المعاني فمثلا يقول **محمود درويش:**

(1) نازك الملائكة، شظايا ورماد، دار العودة، بيروت، 1997، ص76.

(2) كريستوفر لويس، التفكيكية النظرية والممارسة، تر: صبري محمد حسن، دار المريخ، الرياض، 1989، ص56.

ونحن نحب الحياة إذا ما استطعنا إليها سبيلا

فالمعنى الظاهري واضح، فالشاعر يحب الحياة لكنه يربط هذا الحب بالقدرة على الوصول إليها، لكن وراء هذه الجملة البسيطة، هناك أثر غيابي لماذا يقول ؟ إذا ما استطعنا؟ هل هو يستطيع أم لا؟ ومن يمنعه من الاستطاعة؟

يظهر هنا ظل الاضطهاد، الحرمان، الاحتلال، لكنها ليست مذكورة مباشرة، بل تترك أثرا في ذهن القارئ، فالشاعر لا يقدم المعنى بشكل مباشر، بل يترك فراغا دلاليا يتحرك فيه القارئ هذا الفراغ هو الذي ينتج الأثر، وهو ما يعطي النص عمقه الجمالي والتأويلي.

8.4. الصوت La Voix: يتحدد الصوت في الفكر الدريدي على أنه «أصغر وحدة للغة التي يتشكل منها النص، لذا فإن الدراسة الصوتية تُعدُّ محوِّراً أساسياً للدخول إلى عالم النص، ويعني الصوت من منظور التفكيكيين النطق بعلامة أو الإنصات إليها، وهو الماهية الدالة التي تظهر للوعي باعتبارها الأكثر إتّحاداً مع فكر المدلول، من هذا المنظور يكون الصوت هو الوعي ذاته كما أنه حقيقة الصوت تظهر من خلال إتّحاد الدال مع مدلوله، فعندما يتكلم المتكلم يدرك ما يقول ويفكر به، ليحضر الصوت نفسه بوصفه أفضل تعبير عن حرية الإنسان عندما يدرك أن ما يقوله يعبر عنه، وعما يريد أن يوصله للسامع، والحرية ترتبط هنا بدلالة الأصوات، لذا فإن الصراخ يقع خارج اللغة، إذ لا ينطوي على شفرات أو اهتزازات، يستطيع السامع أي يفك رموزها، كما أن العلاقة بين الصوت والدلالة توالدية بمعنى أنه بمجرد انتهاء الصوت تولد الدلالة التي تتطلب حضور الوعي لتفسيرها»⁽¹⁾.

⁽¹⁾ IbrahimAlsibli,PostmodarElestir: BiModelolarakYapiskum, Criticim,Deconstration as a Model Journal of oriental, Studies45, (2024), p163

5. نظرية اللعب **Theory of play**: تتخذ التفكيكية من نظرية اللعب معطى حراً لا متناهيًا من الدلالات «لكتابة ليست منقطعة تماماً عن الإكراهات المغيبة للحقيقة، وتأكيد المعطى الثقافي للفكر والإدراك وغياب المعرفة السطحية واستلهاً أفق واسع من المرجعيات الفكرية المماثلة والفلسفية المعقدة، والنظم المخبوءة، وطرائق التحليل الخاصة، فالتفكيك يتيح للنص ميداناً جديداً للعب في الخطاب المعاصر، في حين كانت سطوة الكلمة هي العامل المؤثر في الملتقى، أو القارئ التي تملك سلاح العولمة، أصبحت الصورة متحركة، وصناعة المحتوى السينمائي، من مظاهر اللعب الحرفي الجنس الأدبي الذي جعل الكثير من الكتاب يتجه إلى التأثير في الملتقى من خلال اللعب الحر بالشخصيات والأحداث للوصول إلى العالمية»⁽¹⁾.

تمجدّ التفكيكية هنا هذا اللعب الحر الذي يسمح للنص بالتححرر من السلطة الأحادية للمعنى، فالنص لم يعد مجرد وعاء للحقيقة، أو حاملاً لمعنى مباشر وسطحي، بل أصبح فضاءً مفتوحاً يمارس فيه الفكر نوعاً من الترحال بين مرجعيات فكرية وفلسفية متنوعة ومعقدة، ويملك أدوات تحليل خاصة تظهر البنى المخبوءة خلف ظاهر الخطاب، أما من جهة أخرى وجدنا فلسفة أخرى وهي فلسفة اللعب اللغوي عند **لودفيغ فيتغنشتاين Ludwig Wittgenstein**، «بحيث يشير مصطلح ألعاب اللغة بأمرين هامين، أولهما ديناميكية اللغة، ومن حيث هي كذلك فهي دينامية، وتتغير على الأرجح على طول الزمان، وثانيهما يوازي اللغة بالألعاب التي تحكمها قواعد، تعمل بالطريقة نفسها في كل ألعاب اللغة فبينما توجد بعض الألعاب مثل الشطرنج، التي لها قواعد دقيقة، توجد ألعاب أخرى ليس لها قواعد مثل قذف الكرة، فقد أخرج فيتغنشتاين من

⁽¹⁾ Co.prof.Hanadi Muhammad Berhairi.Deonstructive Priciples of Jacques Derride Journal of Arabic language and Lirerature(FALS) Vol2 Lessue1(2023) p31-19

برجها العاجي بتحرير الكلمات من سجن المعاني»⁽¹⁾، كما يعرفها «بأنها الشكل البدائي للغة أو اللغات البدائية، كما تمثل اللغة عنده، مجموع الألعاب اللغوية الممكنة مثلما تمثل الرياضيات باعتبارها لغة مجموع التوافقيات الممكنة، وكلها تتضمن التوافق البشري، بدرجات متفاوتة»⁽²⁾.

1.5. سحر الحضور ولغز الغياب (جدلية المعنى):

كان الفكر الغربي، قبل ظهور التيارات الحديثة، وما تلاها «يقوم على مبدأ الحضور، حيث لم يكن يعترف إلا بما يتمثل في الوعي ويتجسد في شكل الدلالة والمعنى، فقد ارتبطت الواقعية لديه بالعقلانية، أي أن كل ما هو موجود يجب أن يكون قائلاً للإدراك العقلي، لكن مع التحولات الجذرية التي طرأت عليه، انقلبت هذه الفكرة ليحل محلها مفهوم الغياب الذي يفترض أن في الذات جانباً مستتراً وسرياً لا يمكن للوعي إدراكه بالكامل، ولا يستطيع الفكر تمثيله أو التعبير عنه، فيظل غائباً بشكل دائم»⁽³⁾، فوجدنا هنا أن الفكر الغربي، تحول من اليقين بالعقل والحضور إلى الاقرار بالغياب، مما يعكس تعقيد الذات واستحالة الاحاطة الكاملة بالمعنى.

ومن «فكرة الغياب هذه انطلق دريدا زعيم التفكيك، وبهمننا هنا تجليها عنده في موضوع القراءة، فقد رأينا البنيوية مثلاً تنطلق من أن النص حامل أسرار كثيرة تحتاج إلى الفك، ولفهم فاعلية القراءة لا بد من فهم طبيعة العلاقة الجدلية القائمة بين الدال، وهو الصورة الصوتية أو الكتابية للفظ وبين المدلول وهو حالة المتصور الذهني للدال، فالدال يمثل حالة الحضور ولكن المدلول وهو حالة الغياب، ويكون دور القارئ هنا استدعاء هذا الغائب، أي استدعاء هذا المتصور

(1) يوسف تومي جويده، الألعاب اللغوية في فلسفة فيتغنشتاين، مجلة علوم اللغة العربية وأدائها، مج14، العدد07، 2022
جامعة غرداية الجزائر، مخبر اللغة والفن والتواصل، جامعة المدية، ص289، 290.

(2) لودفيك فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، تر: عبد الرزاق بنور، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، أبريل، 2007
ص53-46.

(3) عبد العزيز بن عرفة، مقال جاك دريدا، التفكك والإختلاف المرجأ، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد48، 1988
ص71، 72.

الذهني الغائب والبحث عنه، واستكمال النقص فيه، وقد تولد عن تشكيك التفكيك في العلاقة بين الدال والمدلول، التشكيك في فكرة الحضور، أي حضور المعنى من خلال الدال، وأصبح هذا المعنى في حالة غياب دائمة، ولا يمكن لأية قراءة أن تدعي أنها قبضت على المعنى، أو مركزية المعنى على الأقل فإن كل قراءة غير يقينية وهي قابلة دوماً للإنتاج إنطلاقاً من فراغات الكتابة ومن المساحات البيضاء التي تولدها هذه الفراغات»⁽¹⁾، فالمعنى في التفكيك غير ثابت بل هو غائب ومتجدد باستمرار.

فالقراءة ليست كشفاً لمعنى نهائي، بل بحث دائم وتأويل مفتوح، حيث تولد المعاني من فراغات النص ومساحاته البيضاء، و أن غياب معنى وحضور آخر ينفي الثنائيات المتلازمة ويجعل من النص هو الممكن المفتوح دائماً، ذاك الذي لا يبحث عن المعنى ولا يمجّد الحقيقة وتكون كل الاحتمالات المقروءة الحاضرة صحيحة، وتخطأ فقط عند غيابها خطأ لا يوقع في خطيئة المعنى.

فالآخر « الغائب كثيف الحضور فينا، دائم الحلول والمثول، دائم التجسد، نزرعه في تربة نسيجنا النفسي، وخلايا دماغنا ليفضي ذلك إلى مشاركة تحومه، فيكون إختلافنا معه وعنه إختلاف منه، فهو إختلاف يسكن منشأة هو، فنحن لا نطرد الغير لنقيم نحن كما يفعل البعض»⁽²⁾، فالحضور والغياب مفهومان متداخلان لا يمكن فصلهما بسهولة، خاصة في المجال الفلسفي والنفسي، فالغياب قد يكون أشبه بحضور خفي أو حضور غير مرئي، له تأثير عميق على حياتنا وأفكارنا فمثلاً قد يغيب شخص عن حياتنا جسدياً، لكنه حاضر في ذكرتنا ومشاعرنا، كذلك غياب الأفكار ببعض الأفكار أو المعتقدات قد تكون غائبة عن الوعي المباشر لكنها تؤثر عن قراراتنا وسلوكنا لذلك فالتعامل مع الغياب كجزء لا يتجزأ من وجودنا يساعدنا على فهم أنفسنا بشكل أعمق، وعلى تقبل الآخر المختلف بدل محاولة إقصائه أو رفضه.

(1) محمد علي الكردي، مفهوم الكتابة عند جاك دريدا، المجلد الرابع عشر، (مجلة فصول)، العدد 02، ص 229.

(2) عبدالعزيز بن عرفة، الدال والإستبدال، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط 1، 1993، ص 17.

2.5. جدلية الهامش والمركز:

إن الحديث عن مركزية الهامش وهامشية المركز والجدل القائم بينهما يُعدُّ من الأساسيات والمبادئ في النقد التفكيكي فهو «في الواقع حديث عن تحول كبير في مسار الفكر التفكيكي وجينالوجيا الإبداع عموماً، ذلك أن الانتقال إلى المركز هو في الواقع جرأة فكرية، بأن يمارسها الناقد ليحفر ويبحث في الزوايا المعتمدة والمظلمة في النص الأدبي، كون الهامش قد أضحي اليوم صورة التنوير الفكري الذي يفرض منطق المساءلات، والتشكيك الذي ينقد، إذ ليس هناك شيء اسمه قطعي أو مثالي أو مقدس، أو تجاوز لخطوط حمراء بل كل الأفكار هي اليوم موضوعة على طاولة النقد والتشريح وإعادة القراءة، ومن هنا فإن صراع المركز والهامش هو في الحقيقة صراع بين فلسفة تفرض عليك أن تسلم عقلك، وبين أخرى تقول عكس ذلك، وعليه فقد جاءت ثقافة الهامش لتكون صدمة للنقد وأصوله ومبادئه، ونهاية كل فكر إقصائي لا يعترف بالآخر ولا يؤمن بمنطلق الإعتراض»⁽¹⁾، إذ يصير «كل مفهوم تحديدي قابل للتفكيك»⁽²⁾، لتتلاشى بذلك مسارات التحجر وتسقط أقنعة الحقيقة ولا يبقى إلا الوهم، فالهامش لم يعد ذلك المنسي والعيب وموقع الضعف والإقصاء بل تحول إلى مركز بديل، وإلى سلطة جديدة تسائل وتفكك وتعيد بناء المعنى من جديد، إنها مرحلة لا مكان فيها للمطلقات، بل أصبح كل شيء خاضعاً للتفكيك حتى المفاهيم التي كُنَّا نظنها محصنة، هذا يدفعنا للتفكير في مسؤولية النقد كممارسة تحررية، لا كسلطة جديدة تقصي باسم الانفتاح، بل كمنهج يجعل من الشك أداة لفهم أعمق.

فمثلاً نستحضر صوت المرأة في الشعر الجاهلي أو التراث العربي، فعند قراءة بعض الدراسات النقدية النسوية المعاصرة التي تعيد النظر في الشعر الجاهلي أو نصوص التراث، نلاحظ

(1) محمد ذبيح، محمد جواد مكينة، النص الأدبي من ميتافيزيقا المركز إلى ثقافة الهامش، مجلة فصل الخطاب، مج 10، عدد 4 ديسمبر 2021، جامعة ابن خلدون تيارت، ص 65.

(2) جاك دريدا، إستراتيجية تفكيك الميتافيزيقا، تر: عز الدين الخطابي، إفريقيا الشرق، 2013، ص 06.

أنها تعمل على استدعاء صوت المرأة المهمش الذي غيب أو شوه عبر التاريخ، فمثلا تعد قراءة شخصية **الخنساء** ليس فقط بوصفها شاعرة رثاء، بل كإمرأة ذات موقف ورؤية ثابتة، تُعيد تشكيل صورة الأنثى التي كانت محصورة في أدوار التبعية، كذلك تحلل النصوص التي لم تمنح إهتماما كبيرا بأنها كتبت من نساء، أو عن النساء بطريقة تهمشهن، لإبراز حضورهن الاجتماعي والسياسي والثقافي.

إن استدعاء المهمش هنا يتمثل في إعادة قراءة التاريخ والنظريات الأدبية لإكتشاف تلك الأصوات الأنثوية التي كانت مخفية، وإعطائها مكانة في الوعي النقدي الحديث، مما يحدث خلخلة في السرديات الذكورية التي سيطرت طويلا على النص الأدبي، وعليه «يتجلى لنا سؤال الهامش وكأنه صورة معادلة لمنطق التفكيك، فكان هذا الأخير رفضا للمركزية الغربية بجميع صنوفها السياسية والاجتماعية والإقتصادية والفكرية، فإن التفكيك يمثل رهانا يعول عليه الناقد لتفجير هذه المركزية، وجعلها تتلاشى باقحام اللغة ومنطق الهامش عليها، كون هذا الأخير قد أضحى مسارا جماليا يقتضي أثر المضمر واللامقول والمسكوت عنه في النص الأدبي.

يصب سؤال الهامش في صميم لعبة الاختلاف التي لا يحكمها منطق أو قانون، تسير وفق أفق المجهول/المغيب/الآخر لتقييم معه علاقة، لكن لا من أجل الطموح لمعرفته، أو من أجل تقريبه من لحظة تعرضه للعلم والإدراك، بل من أجل تمثل مجهوليته، إنه منح الآخر المختلف غير الموجود هوية ما، تمكن من تأمله دونما أي فعل ومن أي نوع يمكن أن يعقب هذا التأمل»⁽¹⁾.

3.5. مفارقة المعنى في خطاب النقد التفكيكي:

للمعنى خصوصيات مميزة وجليّة يُعرف بسماءه، هو الحاضر والغائب والمؤجل والأثر والمتحرك والمستمر والحقيقة واللاحقيقة، يتولد من الفروق لا من التطابقات عبر المفارقة، التي تُعدُّ

(1) محمد ذبيح، محمد جواد مكيكة، النص الأدبي من ميتافيزيقا المركز إلى ثقافة الهامش، مجلة فصل الخطاب، مج 10، عدد 4 ديسمبر 2021، جامعة ابن خلدون تيارت، ص 67.

في حدّ ذاتها «لعبة لغوية ماهرة وذكية بين طرفين، صانع المفارقة وقارئها، على نحو يقدم فيه صانع المفارقة النص بطريقة تستشير القارئ وتدعوه، إلى رفض معناه الحرفي وذلك لصالح المعنى الخفي الذي غالبا ما يكون المعنى العنيد، وهو في أثناء ذلك يجعل اللغة ترتطم ببعضها البعض، بحيث لا يهدأ للقارئ بال، إلا بعد أن يصل إلى المعنى، يرتضيه ليستقر عنده»⁽¹⁾، وهذه المفارقة تنبع من مبدأ دريدا ألا وهو الاختلاف بما يقابله من تناقضات وتضادات، التي تُشير إلى أن المعنى لا يُستحضر أبداً دفعةً واحدةً، بل يؤجل ويتشكّل من خلال علاقته بمعان أخرى، يغيب بعضها ويحضر بعضها الآخر.

وبالتالي يُصبح النص فضاءً من الاحتمالات المفتوحة، لا يمكن حصره في تأويل واحد بل هو دائم التوليد للمعاني، فيفجر نفسه من الداخل لأن المبدع «أو المرسل الذي يمثل الآن صانع المفارقة، حينما ينجز مفارقتها، فإنه يضع في ذهنه متلقيا معنا سيطلع على عمله أو بالأحرى مفارقتها محاولا تفكيك نسقها، وتبين المعنى المتضمن في طياتها من خلال ما استنتجه من قراءته التي توصله في غالب الأحيان إلى التشكيك في المعنى الأولي الظاهر، وتدفعه إلى البحث عن المعنى المقصود المخفي»⁽²⁾.

وتقوم هاته الأخيرة على التشكيك الجذري في إمكانية الوصول إلى معنى ثابت أو نهائي في النصوص، فبينما اعتادت المناهج الغربية القديمة التعامل مع النصوص بوصفها كيانات تحمل دلالة محددة ومقصودة، تأتي التفكيكية لتقلب هذه المسلمة، وعليه يوجد مستويين للمعنى في التعبير الواحد هما المستوى السطحي والمستوى العميق أو بمعنى آخر مستوى أولي ظاهري، ومستوى آخر باطني، فالمفارقة في المعنى هي بحد ذاتها سؤال للغياب، فالكلمة لا تفهم إلا بعلاقتها بكلمات

(1) نبيلة إبراهيم، فن القص في النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، (دط)، ص 198.

(2) شريف عبيدي، المفارقة المصطلح والمفاهيم، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر، ص 69.

أخرى ليست حاضرة داخل النص، بل تفترض ضمناً، وعليه فالمعنى لا ينبع مما هو موجود في النص فحسب، بل من غياب ماهو ليس فيه⁽¹⁾.. يقول محمود درويش:

الغياب حنين الحضور إلى شكله

وعلى ظله إتكأ الحور

فاقرأ إذا ما استطعت القراءة⁽²⁾

يعيد محمود درويش تشكيل العلاقة بين الحضور والغياب على نحو تفكيكي، حيث لا يعود الغياب نقيضاً للحضور، بل أثراً مفارقاً متبقياً من الحنين، بهذا المعنى يتحول الحضور إلى كيان غير مكتمل، ينتظر الغياب، ويشتاق إلى "شكله" لا إلى ذاته، بما يفيد تفكك الهوية وانكسارها إلى صورة وظل، ويعزز الشاعر هذه المفارقة حين يجعل "الحور" تتكىء على ظل من سراب لا أثر له، ولا على الجوهر، مما يعني أن المعنى نفسه بات يركز على الغياب، وفي دعوته الختامية "فاقرأ إذا ما استطعت القراءة"، بحيث يشكك الشاعر في إمكانية القبض على المعنى الواحد ليؤكد أن القراءة لا تكشف المعنى بل تضاعف أسئلته، وتفتح احتمالاته للإجابة عنها.

(1) ينظر: نبيلة إبراهيم، فن القص في النظرية والتطبيق، ص201.

(2) محمود درويش، الأعمال الكاملة، إعداد علي مولا، منتدى مكتبة الإسكندرية، ص109.



الفصل الثاني

النقد التفكيكي عند بنتي

بن عودة

تبنى إشكالية هذا الفصل على سؤال محوري ونقدي: ما مدى تجاوب النقد الجزائري مع إستراتيجيات التفكيك؟ وكيف تلقى بختي بن عودة هذه الممارسة النقدية، وكيف تم اسقاطها على المنظومة الثقافية الجزائرية، ومن ثمة تفكيكها؟ وبذلك عُدَّ بختي بن عودة ممن يمثل جيلا جديدا من الكتاب الشباب، حاول جهده تخلص الخطاب الفكري الجزائري لعبة التقاطع اللغوي والانتماء الثقافي التي كثيرا ما أصابت هذا الأخير بالعقم وأخرت مسار التقدم لديه⁽¹⁾ بحيث فجر التفكيك ثورة بختي بن عودة «على العدمية والتراجع والنكوص وسعيه إلى تأسيس الاختلاف، وخلخلة المتفق عليه، واستحداث مناطق غير آمنة لاستنطاق اللغة واستحضار الهوية»⁽²⁾.

1. نبذة عن بختي بن عودة:

بختي بن عودة (1961-1995) كاتب جزائري، ولد في مدينة وهران، وشارك في كتابة المقالات الثقافية، ونظم الندوات في قصر الثقافة بوهران، وكتب في المجالات والصحف الأسبوعية الجزائرية، أغتيل في حي دلومنتي في وهران، ينتمي بختي بن عودة إلى المثقفين الشباب الذين تأثروا بفلاسفة الهامش أمثال جاك دريدا وغيره، وبأنصار النقد الجديد أمثال عبد الكريم خطيبي، وغيره وعلى طريقة هؤلاء، ويبحث بختي بن عودة في الأسس المعرفية والمنهجية التي يستند عليها الخطاب الأدبي والنقد في الجزائر، من أهم مؤلفاته: ظاهرة الكتابة في النقد الجديد، رنين الحداثة.

1.1. النقد التفكيكي عند بختي بن عودة:

إن أهم مبدأ انطلق منه بختي بن عودة في مشروعه الفكري الحديث، هو مبدأ الحداثة فالحداثة من منظور بختي حوار مفتوح ومطلب مشروع من أجل التغيير، وعملية ترميم الخراب والتشويه الذي طال الهوية والتاريخ والدين والعقل، والذي لا يمكن تحقيقه إلا عبر احترام فعل

(1) ينظر: عمر مهييل، من النسق إلى الذات، قراءة في الفكر الغربي المعاصر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط1 2004، ص77-78.

(2) المرجع نفسه، ص79.

التغيير والتعدد، حين يقول بختي بن عودة: «الجزائر بلد مؤهل لإحتضان هذه الحقيقة، شريطة استثمار المواقع الأكثر إستجابة لهذا النوع من الحس ومن اليقظة، وجعل ذلك الاتفاق الإجتماعي هو حصيلة غير إزدحامية ولا الزامية ولا انتهائية آنية، من شأنها ضمان عودة الانسجام إلى هذا الفضاء المسمى بالجزائر»⁽¹⁾، إنها مفارقات تحتاج لاستراتيجيات تفكيكية لفهم ذلك المهمش الذي لم يعلن عنه بختي بن عودة، سوى الآثار التي خلفتها الألفاظ، أما المعاني فهي مطروحة يعرفها من عايش تلك الآنية الانتهازية والالزامية، التي يمكن من خلالها العودة إلى الحقيقة المكانية والزمانية.

هكذا ذهب بختي بن عودة «بيدي آراءه حول ضرورة استثمار طروحات الآخر للخروج من مأزقية الدولة، ودعا إلى القطيعة مع السياسات القائمة وكل أشكال الهيمنة والمركزية، لأنه السبيل الأوحده للخروج من الانكسارات والشروحات التي تعيشها الشعوب، وعلى هذا الأساس انتقد بختي بن عودة الثقافات المنغلقة والمنكفئة على ذاتها، الراضية لكل وافد مختلف ودعا إلى ضرورة التفاعل مع الآخر لأنه الخطوة الأولى في مسارات التغيير»⁽²⁾.

وفي هذا الصدد يقول: «إن ثقافة خالية من نقيضها مستغنية عن ذلك المختلف الذي يقيم فيها أو بجوارها، لتنتهي إلى ذنب ما، ذنب الارتجاع ونسف الآخر نسفا غير محدود مثلها مثل ذات تتشدد في الإنصات إلى الفتوحات العقلية ماضيا أو راهنا، والإطالة المتعددة على كل ما هو غير محرض على التفكير، والزج بالصمت المخيف في سجن التواطئ مع الكتمان المستحيل أو التعالي المستحيل أيضا، إن سؤالا مماثلا يقوم لصالح النظرة إلى الخارج وعدم الالتواء، المراهنة على الخاطف، الظفر بالمتغير أي ماله تاريخية منطقية معلنة، إن نقد الغرب المحض هو هذا الذي ينبغي فهمه، القيام به، تعميمه، لتترنح الذات في مكان مؤسس وعارف، مكانا لن يخلد الاستسلام بألهة

(1) بختي بن عودة، رنين الحداثة، ص10.

(2) حنان خطاب، محاضرات في مقياس إستراتيجية التفكيك، قسم اللغة والأدب العربي، 2021، 2022، ص85.

الخطاب والبلاغة، بل يعيد صياغة اللحظة الأكثر جذرية في تاريخ هذه الذات»⁽¹⁾، وعليه فالنقد التفكيكي عند بختي بن عودة هو مجال خصب لدراسة الفكر النقدي المعاصر في الجزائر، متأثراً بأفكار دريدا لكنه لم يكررها بل أعاد صياغتها في سياق عربي جزائري لتفكيك ذلك العقل المغلق المتسلط واحداث التغيير له وإعطاء حق الهوية المناسبة والأصيلة للعقل الجزائري، فطرح بختي بن عودة القضايا السابقة متناولاً إياها بالتفكيك مسائلاً عن سبب غياب وانكسار الكتابة النقدية والفكرية في بلده الجزائر «كيف تتراجع المعرفة النقدية لصالح التفقه والتدجيل وغراميات متفجرة بتراجيديات الليل والنهار، وهل إعلاناتكم تزن مثقال صورة فنية، أو فقرة فلسفية أو بطاقة مبدع»⁽²⁾.

فيشير إلى تفوق الخطاب الدعائي، على الخطاب الجمالي أو الفكري، مما يعني أن القيم الثقافية أصبحت تقاس بما يروج لا بما يبدع، هذا ما يحفز على تفكيك العلاقة بين الثقافة والسلطة، بين الإبداع والحشد، وبين الفكر والإعلان، وعليه فمشروع بختي بن عودة ينطلق من العاطفة وتفكيك البنى الثقافية المسيطرة التي تحولت إلى أدوات تسليع وتدجين والبحث عن الهوية الأصيلة.

2.1. بختي بن عودة متأثراً بجاك دريدا:

يرى بن عودة بختي أن «المثقف الجذري يحمله إختلافه الجذري وسؤاله المعرفي المدمر، لا يملك جواز سفر، قد يجد نفسه يشتغل في حقل أو بستان وقد يقتل، كلمات ردها الباحث الجزائري بختي بن عودة، الذي رغم حياته القصيرة إلا أنه أثار إهتماماً متزايداً بدريداً وتفكيكه حيث مثلت أفكار المساءلة والمغايرة محطة جذب وتأثير لكل فلاسفة الاختلاف، وجاك دريدا حيث يقول بختي: هو الاسم الذي اخترناه لنتمرن على المطالبة بالحق في الاختلاف وفي تفكيره

(1) بختي بن عودة، رنين الحداثة، ص13.

(2) المرجع نفسه، ص65.

القائم على خلخلة بنية النسق الفلسفي، وهو المركزية الغربية والتأسيس لنص وفكر الاختلاف ضمن لعبة تمويهية وفوضى دلالية، قد يتساءل البعض عن جدول خوض فيها ليجد الإجابة عند بختي بن عودة، إن قراءة نصوص دريدا تجد مبررا لها في أنه يود الاستغراق في التفكير للاقترب من ممارسة الاختراق المميت من انفتاحية دريدا النصية»⁽¹⁾، فبختي بن عودة كان من أبرز المفكرين الجزائريين الذين تأثروا بالفكر التفكيكي الدريدي، ويبدو هذا التأثير جليا في كتاباته، خصوصا في اهتمامه بما يسميه التفكيك كوعي نقدي وكذلك في استدعائه لمسائل مثل الاختلاف والتمركز وتفكيك العقل الجزائري وهي مفاهيم مركزية في تفكيكية دريدا، ووجد في كتاباته فرصة لإعلان الثورة على الثبات والمركز «وتدمير كل الدلالات التي تجد مصدرها في دلالة اللوغوس وتفكيكها وتذويب روايتها المتعاقبة»⁽²⁾.

فقد وجد بختي بن عودة في مشروع دريدا عدة آليات تساعد على بحث عنه في وطنه من هوية لشعب مشتت ومتفرق ومحتل رغم استقلاله، فقد اعترف بختي بأن تفكيكية دريدا تمنحنا الأدوات - الاستراتيجية - اللازمة التي نخدمنا كعرب على أن نكون في طريقنا الصحيح والذي يؤدي بنا إلى التحديث والتنوير والتحرر من القيود فـ«دريدا يمنحنا كقراء عرب أدوات حداثية... لعل دريدا يعلمنا نحن أبناء المحيط، كيف نفاجئ الهالات الموضوعية على حياة الآخر على شواطئه، كيف نتسلل إلى الثغرات من خلال أمتعة معرفية نقدية تفكيكية، أن ننسى ذواتنا إلى حين أن نؤجل الحديث عن وحدة ترعاها السماء، أن نستحق طرفا من الفكر القابل للسكني إنه فكر كذلك، متى نحمل المصاييح»⁽³⁾.

(1) حنان خطاب، أثر التفكيك في النقد الجزائري قراءة في مشروع بختي بن عودة التفكيكي، مقال محاورات في الأدب والنقد مجلد 1، عدد 4، سبتمبر 2021، ص 44.

(2) جاك دريدا، الكتابة والاختلاف، ص 111، 112.

(3) أحمد البنكي محمد، دريدا عربيا، قراءة التفكيك في الفكر النقدي العربي، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2005 ص 336.

وعليه فقد تأثر بختي بن عودة بفكر جاك دريدا العملاق، وذلك من خلال دعوته إلى زعزعة اليقينيات وكسرها، وهدم الصور الجاهزة عن الذات والآخر باستعمال أدوات نقدية حديثة وكذا يظهر تأثره بأسلوب دريدا في الكتابة المتشظية، والابتعاد عن الخطاب المباشر، ما يعكس سعيا لتوطين الفكر التفكيكي في سياق عربي.

3.1. بختي بن عودة والتمركز حول العقل الجزائري:

ظلت الذهنية الجزائرية مهيمنة لفترة طويلة، حتى أصبحت تشكل مركزا يصعب تجاوزه أو السيطرة عليه، فكلما لاحت بوادر التغيير سرعان ما تغلق الأبواب في وجهه وتكبح أيدي التجديد والابتكار، ومن هنا يطرح بختي بن عودة تساؤله حول مدى امكانية تحقق الحداثة داخل المجتمع الجزائري «كيف يتحقق ذلك في مجتمع بدئي، غير متجانس، منفعل وأكول، يتكاثر بسرعة، ينتظر ولا يبدع، يترنح ولا يجرؤ، وتتحكم في تفاصيله البدايات، بدايات الخلق أي البرمجة الموثوق منها لإرادة الإنسان دائما، وإنه من الصعوبة لما كان أن تتأسس حداثة في مجتمعنا، لأن دولة القبيلة ترفض منطق الحداثة، وينبغي أن نبحث عنها في طرائق التعليم والتواصل والكلام والكتابة والصمت، والتمييز بين إقاعي الليل والنهار»⁽¹⁾، حين يتجلى العقل الجزائري في نظره وعي خاضع لتقاليد متوارثة، من البرمجة الثقافية والاجتماعية، جعلته يبنى ذاته ضمن نظام مغلق يرفض التجديد بوصفه انزياحا عن الأصول الأولى.

هذا التمرکز لا يتعلق بالعقل باعتباره أداة تفكير عقلائي، بل بما تضمن من ظوابط ومعايير القبيلة والخضوع له، فهاته الأخيرة التي يشير إليها بختي بن عودة ليست محصورة في الغطاء السياسي فقط، بل خلفية معرفية عقلية تنتج عقلا ينحاز إلى الثبات، ويهيمن على تفاصيل حياتنا اليومية، وفي هذا السياق يصبح العقل أداة انغلاق لا انفتاح، وعوض أن يكون مجالا لإنتاج المعنى يتحول على سلطة تعطل أبواب التأويل والتحديث، بذلك يضعنا بختي بن عودة أمام مفارقة

(1) بختي بن عودة، رنين الحداثة، ص 07.

تفكيكية، العقل في الجزائر لا يعمل كأداة نقد، بل كجهاز يتمحور حول ذاته ويمنع الاختلاف والتغير « وإذا كان التفكير اليومي، لا يعيد تنظيف دماغ الأمة من لطخات الدعم على أساس من المراجعة الصارمة والمدهشة، فإن المحطات الأخرى لن تكون سوى أرضيات مزلاجة، ولن تكون الهزات السرية سوى مقدمات لأخرى عالمية، فالقبيلة حين ترفض محاورتك تحيطك بكثير من الشبهات، ترى فيك الغريب والمنحرف والمخطئ والمجنون، ترى فيك في الحقيقة ما لم تستطع هي أن تسميه، أي أن يخلق له الإطار المنهجي والمنظم لتحديد فكريا وفلسفيا»⁽¹⁾، فبختي بن عودة ينتقد الثقافة التقليدية المعبر عنها بالقبيلة، ويفكك ما يبدو طبيعيا، فالمقصود بتنظيف دماغ الأمة يكشف عن تصور تفكيكي للهوية بوصفها عائقا تتراكم فيه لطخات الإدولوجيا، إنها دعوة إلى مراجعة حادة وصارمة تزعزع الاستقرار النفسي والثقافي، فعلى أن نزيح المركز الثقافي للقبيلة التي تعتبر نفسها حارسة للمعنى، فهي لا ترفض الحوار فحسب، بل تؤطر المختلف وفق منطق الإقصاء، كالغريب والمخطئ والمنحرف والمجنون، فهذه الكلمات تشكل ثنائيات ضدية مع ما تعتبره القبيلة (السليم والعاقل)، ويفكك بختي بن عودة هذه الثنائيات عبر إظهار انكساراتها فالمقصي والمرفوض ليس جنونا بقدر ما هو "ما لم تستطع هي أن تسميه"، أي أنه خارج التسمية السلطوية التي تملكها القبيلة.

لا يعيد بختي مسألة أنظمة السلطة التقليدية، بل يمنح الهامشي امكانية لإنتاج معرفة حديثة وجديدة، وذلك عبر خلق الإطار المنهجي والمنظم وتحديد عقليا وفكريا، فما يقصى بوصفه انحرافا قد يكون مشروعا أو تخطيطا لتفكير لم ينجز بعد، وبذلك خلخلنا الاستقرار الظاهري، بسابق إنذاري قدمه لنا الكاتب، بحيث يحذر من أن استمرار هذا الإقصاء سيؤدي إلى زلازل قادمة أو ما يعرف بالهزات السرية والتي ستتحول إلى هزات علنية، وهذه الصيغة تنسجم مع إستراتيجية التفكيك التي ترى في البنية الخفية المتعالية ميلادا داخليا نحو التشتت والتناقض والتمزق والانحيار.

(1) بختي بن عودة، رنين الحداثة، ص 30، 82.

واستنادا على هذا المنطلق « سعى بختي بن عودة لتفكيك وتعرية كل ما يقيم سلطة الدولة/القبيلة، فمن نزعة القبيلة إلى نظام الحكم، ومنهجه من منطلق أن لكل دولة منهجية تسير وفقها كالديمقراطية، حين طرح تساؤلا مهما حول الديمقراطية: أية ديمقراطية لأية فلسفة؟، وتولى الإجابة عنه بتفكيك وتعرية الملابس المحيطة به بين الديمقراطية والإستبداد»⁽¹⁾.

وهنا فصل بينهما قائلا: «ما ليس ديمقراطي ليس هو الاستبداد كما قد يبدو للوهلة الأولى، لأن غواية المفاهيم في اللحظة الجزائية بالتحديد هي قبل كل شيء استمرار لسلطة الدال وبالتالي استمرار لشكل من أشكال الفسح والإنفصام، كما سيكون الاستبداد هو هذا الشعور غير القادر على الدخول في صيرورة من الاختلافات ومن المواعيد المتمكنة من لحظة التفهم ولحظة الاختراق، إنه ميتافيزيقا عمياء منكفئة على حب التملك وإعادة التملك، بعيدا عن الإرجاء والتبادل والتعدد، أليست هذه المشكلة جزءا من معيارية مؤسسة على الواحد الذي لا يتكاثر، ولا يرى نفسه في حركة من التغيرات المرفولوجية والمضمونية، والتي حين تتحول إلى لغة دامغة وقلقة ومفتوحة تتأزم إلى حد العصاب، فترضى بما يمليه عليها هذا التأزم، ليخرج ذلك العقد التواصلية المشروط بقوانين واعية من القول ومن إنتاج المعنى»⁽²⁾.

وبناء عليه فإن بختي بن عودة يتولى خطابا منفصلا ضد التمرکز حول أنظمة المعاني الغامضة والمغلقة، حيث يفكك التواطئ السائد بين مفهومي اللاديمقراطية والإستبدال بحيث يفتح بن عودة بختي طرحا يعيد التفكير في كينونة السلطة ومصدرها الخطابي كما يستدعي مفهوم الإستمرار الدلالي، وهو ما ينادي به دريدا لتفكيك المتافيزيقا؛ إذ إن بقاء الدال في لحظة الجزائر هو ما يكرس الشكل على حساب المضمون، واللغة دون ممارسة ديمقراطية حقيقية وهذا يرجعنا إلى فكرة

(1) وليد عثمان، التفكيك بين النظرية والممارسة في الخطاب النقدي الجزائري (قراءة بختي بن عودة أنموذجا)، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 12، عدد 2، يونيو 2023، جامعة محمد السادس دباغين، سطيف، الجزائر، ص 89.

(2) بختي بن عودة، رنين الحداثة، ص 88- 89- 90.

الاختلاف عند دريدا، فالإستبداد في هذا السياق ليس مجرد نظام سياسي بل ميتافيزيقا عمياء قائمة على حب التملك وإعادة التملك، وهو ما يناقض كل من الإرجاء والتبادل والتعدد.

هنا يتبدى لنا البعد التفكيكي عند بختي بن عودة إذ يرفض كل ما يستند إلى الأصول الواحدة أو كل ثابت للمعاني، حيث يعتبر أن هذا التمرکز يؤدي إلى عصاب لغوي، أي إلى لغة متعصبة متأزمة لا ترى إلا ذاتها، وهي بذلك تحرق العقد التواصلية المشروط بقوانين الوعي مما يحدث إنغياراً مكان التواصل نفسه، وعليه يعكس بختي نقداً للعقل الجزائري الذي لم يتمكن من الدخول في صيرورة الاختلاف ولا في التعددات والاستنساخ وهي شروط كل خطاب Discour ديمقراطي.

4.1. بختي بن عودة والتمرکز حول الصوت وإنفتاح الكتابة:

قد نقد جاك دريدا خطابات دوسوسير F.de Saussure بسبب إعطاء الأفضلية للكلام على حساب الكتابة، فقد اضطر سوسير « مثل من سبقوه إلى النزول بالكتابة إلى مرتبة الشك أو إن شئت فقل النزول بالكتابة إلى مرتبة ثانوية» ⁽¹⁾، ومن هذا المنطلق تبين أن هناك نوع من القمع والخط من شأن الكتابة، وعلى هذا الأساس فإن جاك دريدا كشف ذلك التناقض وذلك بإعطاء تلك الأولوية للكتابة، ومنه قد تتبع بختي بن عودة منهجية دريدا من خلال تمركزه حول الصوت قاصداً من خلاله التطور في الفكر الحدائي، إذ اعتبرها الطريقة الوحيدة لخلق خطاب نقدي حدائي «إن دولة الجزائر لا تصلح سوى لشريح نفسها من خلال الخيلاء، وجزالة العبارة لذلك فهي دولة بلاغية، وليست إلى غاية إثبات العكس دولة سوسيولوجية» ⁽²⁾

فيجد بختي بن عودة أن تلك السلطة الجزائرية تميل إلى إنتاج خطابها بدلاً من بناء مؤسساتها، فهي تمارس الحكم من خلال الأقوال لا بالأفعال والتي من خلالها كسرت مظاهر

⁽¹⁾ كريستوفر نوريس، التفكيكية النظرية والممارسة، تر: صبري محمد حسن، دار المريخ، السعودية، 2000، ص 75.

⁽²⁾ بختي بن عودة، رنين الحداثة، ص 18.

الكتابة، وهذا ما جعل بختي بن عودة ينتقد كل مركز وتفكيكه، «وهنا يكشف دريدا وراء محاكمة الكتابة عن خلفية تطهيرية وكذلك عن مشهد عائلي»⁽¹⁾.

وعليه فبختي يريد إعلاء الكتابة وإبراز مسارها الحقيقي، وكشف محتواها البراق مبيناً ذلك بقوله: «إن الوضع المطروح أمامنا يشترط موت الصمت وإنكسار خصيصته، رهن الشيء الثقافي باللحظة النفعية والمكسرة لتبرير أسبقية السياسي على الجمالي والإشعاري على الكتابي، وهذه فجوة ظلامية تحصر الإشكالية في نطاقات جاهلة وعمياء»⁽²⁾، فقد أصبح الفكر والثقافة مسجونين داخل سلطة السياسة العمياء التي لا تبصر ولا ترى الحقيقة، بحيث لم تعد هذه الأخيرة حرة بل أصبحت سلاحاً يخدم المنفعة، ويحذر بن عودة بختي من ذلك الإنزياح المقلق في آفاق القيم، ومن هنا تبرز الكتابة كفعل مقاومة، لا كأداة توظيفية وخادمة فقط، بل اعتبارها شكلاً من أشكال التنوير، وتفكيك النصوص والمعاني المغلقة والمتعالية لتكون لنا وسيلة للخروج من دائرة الظلام، وعليه فالكتابة تتجلى في محورها على كسر منطق النفعية واسترجاع المعنى الأصلي للتححرر من ميتافيزيقية الانغلاق، «ومن هنا تكون الكتابة كائناً يعضدنا ونعضده ومغامرين نذهب في استنطاق الممكنات من أجل قراءة جديدة لدفاتر الشتات»⁽³⁾.

فإذا كانت الكتابة تمثل أثراً للحضور، فهل يكفي الصوت لتمثيل المعنى؟ وماذا يكشف غياب الكتابة عن بنية الفكر واللغة؟ إنه «لم يكن معقولاً أن تشهد الساحة الإعلامية الوطنية موجة انسحاب للكتابة حتى داخل القطاع الخاص نفسه (مثال الخير)، ولن أتحدث إذن عن الثورة الإفريقية والمجاهد والجزائر، الأحداث نسيباً، أما الخطاب السمعي البصري فحالة لا اسم لها»⁽⁴⁾.

(1) جاك ديريدا، صيدلية أفلاطون، تر: كاظم جهاد، دار الجنوب للنشر، تونس، ط1، 1998، ص07.

(2) بختي بن عودة، رنين الحداثة، ص68.

(3) بختي بن عودة، رنين الحداثة، ص41.

(4) المرجع نفسه، ص65.

ومنه فغياب الكتابة هو انقطاع في سيرورة الحضارة وانحيار في آليات إنتاج المعنى، ومن ثمة ارتقت الكتابة في ظل الحداثة إلى مرتبة عليا، باعتبارها فعلا ثقافيا ومعرفيا ينبع من ذات الإنسان ويعكس ما يعتريها من رؤى وهواجس، ويترجم ما يختلج فيها من أفكار وبصمات مؤثرة، لقد استطاعت الحداثة وحدها أن تعيد تفكيك مفهوم الكتابة لتجعل منها مدخلا أصيلا لفهم الحضارة، في مقابل تراجع مركزية الصوت وتفكيك استبداده، وضمن هذا المنظور لا تصبح الكتابة مجرد وسيط محايد، بل تتحول إلى فضاء للخلق والتجاوز والانفجار الإبداعي.

وكما أشار دريدا عندما أسس لما سماه بعلم الكتابة أو الغراماتولوجيا بوصفه علما يتجاوز النحو التقليدي ليفتح المجال أمام عقلنة جديدة للمكتوب، هذا الأخير يفهم بوصفه خطابا للاختلاف، يتمرد على سلطة العقل الواحد ويمنح شرعية لأصوات متعددة لا تقهر ولا تطوع، وما فتحه دريدا وفوكو من إمكانات في الحقل الفلسفي والمعرفي، يمثل ثورة حقيقية ضد كل أشكال هذا التمرکز الطاعني والمستبد، ليفسح المجال أمام رؤى جديدة تتجاوز القيود وتعيد الاعتبار للإنسان بوصفه ذات تنويرية ومتفتحة عبر أجيال⁽¹⁾، ومنه اتبع بختي بن عودة كل خطوات وطرائق دريدا لتأسيس الكتابة في الجزائر، وذلك باقصائه لكل التمرکزات حول الصوت لتولد الكتابة وتغير المسار التقليدي القديم «إن زمن الكتابة هو زمن إيروسي غير غنوصي لا يعبأ بالأثقال التي لا تزال تتحملها الذات المتكلمة والتي ترى في النص فضاء للحرية وللأسرار الإنسانية ولطموحات حاضر لا حضور له»⁽²⁾.

5.1. التفكيك وإعادة تشكيل مبدأ الاختلاف:

يمثل مبدأ الاختلاف عند جاك دريدا أساس التفكيك، وهذا الاختلاف وجد صدى واضحا في كتابات وأعمال بختي بن عودة، خاصة في نقد الذات والهوية عندما بدأ بن عودة بختي

(1) بختي بن عودة، رنين الحداثة، ص174.

(2) المرجع نفسه، ص154.

في تساؤله المضطرب حول تلك المغايرة الدريدية «الذي يأخذ من الفلسفة حصيلة عمليات فهم متراكبة، ليحاور أعمالاً أدبية ويقترح طريقة في التحليل تجعله علة مقربة مهمة الناقد دون أن يكون لذلك تأثير من النوع المريب على وضعيته كفيلسوف»⁽¹⁾.

وعليه أسس بختي بن عودة مشروعه الاختلافي وإقراره بأن التفكيك هو المحرر الوحيد من ذلك الانغلاق قائلاً: «إن الاختلاف الدريدي، إختلاف ذو أسبقية على الوجود وأنه معدوم الحنين إلى الميتافيزيقا»⁽²⁾، فهو ليس مجرد إختلاف عادي، أي أن المعنى لا يتحقق إلا من خلال التمايز عن غيره، ولا يجز بشكل نهائي، بل يؤجل باستمرار فالمعاني لا يجب أن تكون ثابتة، بل تمر على كثير من الإختلافات والعلاقات المغايرة، بلا ندم ولا رغبة في الرجوع إلى مركز متسلط مفقود، وللخروج من هذه الأزمات، لابد من إعادة «بلورة حس مغاير جماعي منظم بعيد وضع النقاط على مواضيع الجرح في غفلة من الإصرار السياسي، أو سرعة التنفيذ، أو فوضى القرارات بأشكالها المألوفة والتي لا تختبر أرضياتها ولا آلياتها»⁽³⁾، فروح التفكيك هو الذي يدعو إلى تفكير مغاير، بوصفه حركة لا تهدف إلى بديل نهائي، بل إلى كشف المخفيات العميقة وفتح أفق جديدة ومختلفة، وبذلك لا يبحث بختي بن عودة عن جواب، بل عن مساءلة دائمة، تجعل من التفكير فعلاً مقاوماً ومتجدداً.

فهو «مرور اضطراري يسمح بإعادة النظر في الطبيعة العائدة للوجود وهو يستدرج دقات الفكر النقدي للالتفاف حول المختلف في مستوياته الأكثر عنفاً والأكثر ارتجاجاً، ذلك أننا لانزال نخشى ملامسة المجهول، والعاصف والمضطرب والغامض والفاتن والغريب والهامشي، بسبب تحول

⁽¹⁾ كريستوفر نوريس، التفكيكية النظرية والتطبيق، تر: رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار سوريا، ط1، 1992، ص25.

⁽²⁾ بختي بن عودة، ظاهرة الكتابة في النقد الجديد مقارنة تأويلية، دار صفحات، سوريا، 2013، ص116.

⁽³⁾ بختي بن عودة، رنين الحداثة، ص133.

المتعاليات إلى قوانين بل إلى مرجعيات أساسية وفاعلة في نشأة الخطاب، هذه الخشية هي التي فتحت الشهية أمام المتعاليات»⁽¹⁾.

وعليه فقد أخذ بختي بن عودة، بتصورات الاختلاف والمغايرة التي أتى بها جاك دريدا يقول: «هو الاسم الذي اخترناه لنتمرن على المطالبة بالحق في الاختلاف وفي تفكيره»⁽²⁾، وذلك لتحرير الذات من هيمنة خطاب السلطة، فيجب علينا أن نتحرر من هذه الحفرة المظلمة، ولا بد من اختلاف يغير لنا نمط تفكيرنا ويصحح لنا هويتنا الهجينة، كما أن الاختلاف مدخل للجرائم إذ بالحادثة «نجتاز ما يجوز جوازه، ندقق في الإجازة، والتجاوز، وأخيرا فقط المجاز، فالحادثة ككل كهيئة، وليس كمقاس، هي هذا العبور (المجاز)، بما يمنح لحظة التفكير فيها وبها، الراهن ذو السؤدد والملائمة، الهجوم المدروس المبرمج، الهندسة المتواضعة لفكر يطال شباب الأشياء ولا يستسلم للماركة»⁽³⁾ أو نمط جاهز، فيجب علينا تفكيك ما يجوز تفكيكه وخلق إمكانات جديدة ومختلفة عن السابق «فالتوارث بما هو علة العلل لم يتعب نفسه بالبحث عن مكان نظري تتجدد فيه نظرتة إلى العالم، فأفرز علائق جاءت بالضرورة ولا آتية وزبائية»⁽⁴⁾، فحين لا يجدد المجتمع رؤيته إلى العالم فإنه لا ينتج معرفة، بل ينتج ولاءات ومحسوبيات، أي مجتمعا مغلقا لا عقلانيا.

2. اللاعقلانية الجزائرية:

يرى بختي «سيادة الاعقلاني واضحة في الجغرافيا الجزائرية من خلال العزل المتزايد للروح الانتقادية بتحول المدرسة والإعلام والممارسة الدينية، إلى فضاءات لإنتاج العصابات والأفكار القاصرة والمقولات الميتافيزيقية، والإدراكات الخرافية الممزوجة بإعتباطية التلفظ والعجز عن تدشين

⁽¹⁾ المرجع نفسه، ص 156.

⁽²⁾ بختي بن عودة، موقع لمقاربة إختلاف جاك دريدا، مجلة كتابات معاصرة، لبنان، مجلد 4، عدد 15، سبتمبر، 1992 ص 35.

⁽³⁾ بختي بن عودة، رنين الحادثة، ص 10.

⁽⁴⁾ المرجع نفسه، ص 17.

خطابات عاقلة وغير حماسية، متماسكة وغير مشجعة حول المسائل الأكثر خطورة كالهوية واللغة والسياسة، دون إخضاعها لفرز عقلي وتاريخي، ولقراءات واقعية وعلمية تعيد النظر في المفهوم ذاته للعقل بتسامحية عالمية وبإحداث الإبدلات والنسقية في بنية الوعي»⁽¹⁾.

فأول ما ينتبه له بن عودة بختي هو استدعاء لثنائية العقل واللاعقل، بحيث تظهر اللاعقلانية كعنصر طاغ، ما يعكس ثورة في التمرکز التقليدي الذي يضع العقل في المركز، فهل نملك تعريفا صافيا للعقل؟ أليس العقل ذاته خاضعا لبنية لغوية تملّي ما هو عقلائي وما هو لاعقلائي، ومن هذا المنظور يتحول قول بختي إلى قراءة تقوض المفهوم المستقر للعقل ولا بد من تفكيكه وإعادة تأسيسه إنطلاقا من تسامحية عالمية، أي من عقل يعترف باختلافه ومتغيراته وليس عقلا ميتافيزيقيا استبعاديا «لينتهي المطاف بإمكانية تحديد الفكر العربي وعقلنته في بلورة مشروع نهضة عربية جديدة»⁽²⁾، كذلك يفكك بختي بن عودة الخطابات التنظيمية (المدرسة، الإعلام، الممارسات الدينية)، من أدوات عقلية تنويرية إلى بيئات لإنتاج اللاعقلانية، وبهذا يتطابق مع دريدا في نقده للمركزيات، إذ تتحول هذه الفضاءات من كونها أجهزة إنتاج للمعرفة إلى طرائق ضبط وإقصاء تركز حضور العصابات والأفكار القاصرة، وهي مقولات وأفكار تحيل ضمينا إلى هيمنة خطاب مغلق دوغمائي جامد، كما استخدم بن عودة لغة مفككة مكتظة بالمتناقضات (إعتباطية التلفظ، العجز عن تدشين خطابات عاقلة، غير حماسية)، فهي كلها كلمات تبين تلك الآليات المعطوبة والمتضررة، ما يدفعنا إلى تفكيك تلك البنية الخطابية ذاتها بوصفها حاملة لتحولات دلالية تجعل من التمييز بين ما يقال وكيف يقال غير ممكن وهذا ما دعا إليه جاك دريدا. ذلك بإعطاء تلك الأولوية للكتابة، ومنه قد تتبع بختي بن عودة منهجية دريدا إذ يقول في هذا السياق «المخيل

⁽¹⁾ بختي بن عودة، رنين الحداثة، ص 124.

⁽²⁾ مصطفى خضر، النقد والخطاب محاولة قراءة في مراجعة نقدية عربية معاصرة، إتحاد الكتاب العرب، سورية، 2001 ص 57.

هو المتمكن من البنية المفكرة للإنسان العربي، وصانعا لذاتيته التي تستسلم بسرعة لما هو غير عقلي وبرهاني هذه الحقيقة لم يسلم منها المجتمع الجزائري ولم تكن سوى كذلك لتحجب التفكير المضاد... مما طبع ورسم عقلية السلطان»⁽¹⁾.

1.2. الهوية الجزائرية المتعددة:

يقر بختي بن عودة بأن «الجزائر هي البلد الوحيد تقريبا في العالم العربي الذي تعود فيه نفس المشكاليات إلى الواجهة، البلد الذي تلتقي فيه كل أصوليات المحددة وفقا لمبدأ القوة والمساومة واللعب على وتر المرحلة، لذلك فهو لا يتنفس عموديا بل أفقيا، لا ينتج النقلة بل التكرار ويصبح فيه من المستحيل التفكير في اللامفكر فيه»⁽²⁾، فالتكرار هنا يوحي باستقرار المعنى لكنه يكشف تصدعاته، إذ إن الإشكاليات المتكررة تفقد مدلولها الأولي وتصبح علامة على عجز البنية لا على استمرارية الهوية، فغياب النقلة يعني انعدام المقدرة على إنتاج حدث مفارق، أي كسر النسق أو الخروج من ذلك التكرار، أما من جهة أخرى فما الذي يجعل الأفقي سلبيا؟ أليس في الأفق إتساع أليس في العمود نوع من التحكم والطغيان؟، لهذا يتجلى انزلاق المعنى، فالتفكير في اللامفكر فيه هو مشروع التفكيك بحد ذاته، كما أن بختي بن عودة لا ينتقد البنية السياسية أو الثقافية الجزائرية فقط، بل يظهر تفكيكا أن هذه البنية لا تملك ذاتا واحدا، بل تتوزع بين تكرارات لا تولد المعنى وبين قوى تتصارع بلا مشروع جامع، فكيف نفكر في استحالة التفكير؟ هذا السؤال في ذاته هو بداية التحرر من التكرار، فالهوية المتعددة هي التي تحتوي على الكثير من الثقافات وهذا مازاد في غموض ظاهرة الهوية في الجزائر، ولعل السبب الرئيسي في خلق هذه الأزمة هو الاستعمار حين «ترجع جذور أزمة الهوية في الجزائر إلى مرحلة الاحتلال الفرنسي الذي أسهم في سحق بعض جذور الهوية وأهمها الدين واللغة، ومحاربة ونسخ لكل ما هو جزائري طيلة فترة تواجده، إذ أن

(1) بختي بن عودة، رنين الحداثة، ص 19.

(2) المرجع نفسه، ص 11.

الاحتلال اللغوي وسيادة الثقافة الفرنسية في التعاملات اليومية لعقود عديدة أسهم في تفجر إشكالية الهوية الوطنية الجزائرية»⁽¹⁾.

ولا تزال الجزائر تحاول ترميم هويتها الوطنية واستعادة توازنها الثقافي حتى اليوم وهنا يقر بختي بن عودة بقوله «لن نبحث في جزائر متواضعة جدا عن إنسية خاصة وذات خصوصية، لأن ذلك يحمل نبرة جد ميتافيزيقية وإنما عن الإنسان فقط»⁽²⁾، وعليه نستنتج من هذا الأساس أن هناك تفكيكا من غير بناء وهذا ما أدى إلى إثارة نزاعات وفروق جهوية تفصل الفرد عن شخصيته وهويته الحقيقية، فالإنسان الجزائري الذي يسعى إلى تحديد هويته الثقافية «ذو شخصية تحتزن طاقات نفسية واجتماعية بدون معرفة تاريخية بنفسها وماضيها وحاضرها، وتعيش تمزقات واختلالات على مستوى الهوية بين عروبة ميؤوس منها نتيجة التخلف والاستبداد والهزائم المتكررة ... هي في حنين إلى الجذور وإحياء لخصوصية سرعان ما تتحول إلى جهوية تخفف من الإلتواء التاريخي للعروبة، وتحاول جاهدة الابتعاد عن العرب للإندماج في مغربانية تستوعب الحداثة والغرب والمتوسطة وإسلامية تقليدية، تطورت على صعيد المجتمع الريفي والهامشي والتقت مع أجيال الإستقلال في تدين عام سرعان ما تطور إلى نزعة دينية سياسية تنذر بتدين الدولة والمجتمع»⁽³⁾ وويبحث بختي بن عودة عن تلك الهوية الجزائرية المخزونة والمتحررة من كل العداوات الماضية والتحرر من سلطة الآخر وهيمنته، وبالتالي تلك الهوية المتحررة تنتج للفرد حريته الخاصة واكتشاف ذاته «فالإنسان في أفقنا الروحي لم يعد بعد إلى ذاته كما فعل في أماكن أخرى ضمن القرية الروحية التي تمثلها الإنسانية الحالية، إنه مازال لاقتناء هويته من خارج ذاته، ككائن ممنوع سلفا

⁽¹⁾ رشاد عبد الغفار، الرأي العام والتحول الديمقراطي في عصر المعلومات، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2003، ص131.

⁽²⁾ بختي بن عودة، رنين الحداثة، ص13.

⁽³⁾ عمار بلحسين، من تسييس الثقافة إلى تثقيف السياسة، مجلة التبين، الجزائر، عدد4، 1991، ص8-9.

من أي اختراع حيوي لمرجع وجوده»⁽¹⁾، فالهوية الجزائرية يجب تبنيها من الجوانب الثقافية وخاصة جانب الكتابة وهذا ما يلح عليه بختي بن عودة، الذي يرى في الفرد الجزائري أنه مقصى من كل الإبداعات التي تحدد هويته، والابتكارات والإبداعات هنا تتمثل في تلك الكتابة التي تعتبر أساساً مهماً من أساسيات الهوية، وهذا ما يقره بختي بن عودة في قوله «ها هم الذين أعدموا الحروف يعدمون الرغبة في التحول والانبعاث، ثم يعطون نعوتا من طراز متطرف وماركسوي، ومجنون ومشاكس للذي يبدع في محاورة العالم والواقع واللغة لأن لغته ليست من طينة لغتهم، ولأن خطابه ليس من طينة خطابهم، خطابه الاجترار، وخطابهم المهادنة، لغتهم القدامى والإلغاء والحقد، ولغته الحداثة والتوجيه والفعل، هكذا يخفون عجزهم وفراغهم واستبدادهم في امتلاك المنابر وحب تملكها، لهم الهروب إلى الأمام أسلوباً، وله المجابهة والنقد حجة وممارسة»⁽²⁾،

بـحيث ينطلق بختي بن عودة من فعل الإعدام، وهو فعل لعنف رمزي ومادي في آن مسقط على الحروف لا كوسائل لغوية فقط، بل ككيانات رمزية تدل على حرية القول والتعبير، في التفكيك لا تقرأ الكلمة بمعناها المعجمي فقط، بل تفكك بنيتها ودلالاتها المتوارية، فإعدام الحروف هنا هو إعدام للمعنى وللكتابة ولإمكانات التعدد في اللغة، إنه تعبير عن سلطة تمارس الإلغاء بدل الحوار، عند بختي بن عودة ليست وسيلة محايدة بل ميدان حوار والتفكيك يفترض أن اللغة غير مستقرة وأن المعنى ليس جوهرًا ثابتًا، بل ينتج ضمن شبكة من الفروقات، فالمختلف لغويًا لا يقصى لأنه خطأ، بل لأنه يهدد سلطة المعنى المهيمن وهو ما يفعله بختي بن عودة، والعجز ليس في المغاير، بل في النظام الذي يسعى إلى إخفائه وشيطنته، ومن خلال المفارقة بين الهروب إلى الأمام والمجاهاة، يعلن بختي بن عودة ميله لا لمنطق الانسحاب بل للفعل والنقد في مقابل خطاب الإقصاء والطغيان.

(1) فتحي لمسكيني، الهوية والحرية نحو أنوار جديدة، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص15.

(2) بختي بن عودة، رنين الحداثة، ص38.

3.2. غياب الهوية مرهون بغياب الكتابة:

تتنوع الهوية الجزائرية في عدة تمظهرات ومجالات وعناصر متعددة، لا يصعب إحصاؤها في مجال واحد فهي مرتبطة ببعضها البعض، فهي تلك الأخيرة التي اختلطت بهويات متعددة وكثيرة فبتعدها انطلق بختي بن عودة بحثاً عن هوية الكتابة، متسائلاً عن سبب انعدامها وانكسارها ويعلل موقفه بقوله «لا أقصد بالكتابة تلك التجلية اللسانية الظاهرانية، والتي عادة ما تتأسس حول سلطة الدليل أو العلامة وإنما ذلك الوجود الفاعل للوعي من خلال تجربة إبداعية نقدية لها شرائطها السوسيوثقافية من جدل القراءة كتقليد وكحاجة معرفية وحضارية تكشف إما عن هزال فكري أو عن ثراء فكري»⁽¹⁾.

فالكتابة التي يعنى بها بختي بن عودة هي الكتابة التي تفضح ما وراء ستائر المجتمع من ناحيته الفكرية، باعتبارها متجاوزة التقاليد والبحث عن التاريخ الأصلي واسترجاعه كما يقر رولان بارت في قوله «ولكن الهوية الشكلية للكاتب لا تتوطد إلا بعيداً عن ترسيخ المعايير النحوية والثوابت الأسلوبية... اللسان والأسلوب هما قوة عشواء، أما الكتابة فهي فعل تضامن تاريخي اللسان والأسلوب هما موضوعات، أما الكتابة فهي وظيفة وهي العلاقة بين الإبداع والمجتمع، وهي اللغة الأدبية التي تحولت بمقصدها الاجتماعي، إنها الشكل الحبيس مقصده الإنساني والمرتبطة تبعاً كذلك بأزمات التاريخ الكبرى»⁽²⁾.

فالكتابة في المجتمع الجزائري تقليدية ومنكسرة تنعدم فيها الملكة النقدية والذهنية، والتي مازالت تحت تلك الصدمات والمخلفات الاستبدادية السابقة عندما يتسائل بختي بن عودة عن «مسار جيل كامل من الكتاب الذي انخرط في سلك الاقتصاد والتعصب والمغالاة في أدلة النقاش حول الهوية والتمادي في توظيف عناصرها ومكوناتها الأساسية (الدين، اللغة، الانتماء الحضاري) في

(1) بختي بن عودة، رنين الحداثة، ص 62.

(2) رولان بارت، الكتابة في درجة الصفر، تر: محمد نديم خشفة، الإنماء الحضاري، حلب سورية، ط 1، 2000، ص 21.

تنوعها وتعددتها في طريقة ميكافيلية هدفها النهائي السعي إلى الآخر كشرط أولاني لإثبات الأنا»⁽¹⁾، ومن خلال هذا السياق نجد نقدا لاذعا لنمط من الكتابة الفكرية أو الثقافية التي اتخذت من الهوية ساحة للصراع بدلا من أن تكون مجالا للفهم والتعدد والتكامل، وعليه الإقصاء يصبح بديلا للحوار والمغالاة في الدين أو اللغة أو الإنتماء، تتحول إلى أدوات لإثبات التفوق أو الحق الحصري في تمثيل الهوية، ويصبح الآخر عدوا إفتراضيا لابد من وكأن وجود الذات لا يتم إلا بغياب الآخر، كما أن الطرائق الميكافيلية أو النفعية الإنتهازية تشير إلى أن هذا التوظيف لم يكن بريئا أو عفويا بل كان واعيا ومقصودا لتحقيق غايات إديولوجية أو سياسية.

يتساءل بختي بن عودة مرة أخرى «وإذا كانت فرنسا مثلا عبر ملاحق لوموند والفيغارو وليبيراسيون وغيرها، على سبيل المثال، ناهيك عن مالا نعرفه وعن المختص منها أيضا في نقد الصورة أو العلامة أو الجسد المسرحي أو الذات من وجهة التحليل النفسي، تقترح على القارئ مخطوط جغرافيات من الخطابات تصل بريده رغم ازدحام الحياة وتشابك خيوطها، تتسائل بدهشة عن نوعية الخط الذي يغري القارئ الجزائري والموجود في وضعية اختلال Decolag مثلثة بالنسبة للخريطة الوطنية ثم العربية والعالمية، وتتسع آلام هذه لوضعية بإتساع الشقوق بين المعرفة وموضوعاتها من جهة بإستمرار مأساوية القراءة هنا من جهة أخرى»⁽²⁾.

ويستمر تساؤل بختي بن عودة ويربط القضية بالإعلام والذي كان غائبا بصورة واضحة في توزيع الكتابات النقدية وذلك بقوله: «لم يكن معقولا أن نشهد الساحة الإعلامية الوطنية موجة انسحاب للكتابة حتى داخل القطاع الخاص نفسه، مثال(الخبر)...ما هوية الكارثة؟، ما أطرافها المختفية وراء تقنيات النهي والأمر؟»⁽³⁾، وهذا يسلط الضوء على وجود قوى خفية تتحكم في

(1) عمر مهيبيل، من النسق إلى الذات، ص76.

(2) بختي بن عودة، رنين الحداثة، ص64.

(3) المرجع نفسه، ص65.

الخطاب الإعلامي، وتمارس نوعا من الرقابة غير المعلنة باستخدام أساليب المنع والتوجيه والتحكم في المحتوى، "لا تكتب هذا، أكتب ذاك"، وهذه القوى قد تكون سياسية، إقتصادية، أو حتى ثقافية/إيدولوجية، وبختي بن عودة بفكره التفكيكي يوجه نقدا صريحا للواقع الإعلامي، معبرا عن خيبة أمل مثقف يرى في الكتابة وسيلة لتحرير الوعي، لا وسيلة لترويضه، كما يرى أن المؤسسات الإعلامية قد تخلت عن دورها التنويري والنقدي، وأصبحت تخضع لضغوط داخلية أو خارجية، ما أدى إلى انسحاب الكتاب الصادقين أو المستقلين.

وعليه قد حاول بختي بن عودة النهوض من ذلك الانكسار «ل فلم يشتغل بختي بتعرية البنيات السياسية والثقافية بإستراتيجياتها القاتلة للثقافة والمثقفين، بل ذهب ليسائل منظومات أخرى، حلم ذات يوم بأن يعطي لوطن الثقافة المفقودة عبقا وأريحا يفوح بالجزائر التي تأبى السقوط في المتاهة، لقد تساءل كيف يجعل من الجزائر أفقا للفكر»⁽¹⁾ والعلم.

4.2. بختي بن عودة وسؤال القراءة المتعددة:

يقر بختي بن عودة « بأهمية تعدد القراءات والتأويلات للنصوص، حيث يرى أن النص الأدبي يظل مفتوحا على احتمالات متعددة من الفهم والتفسير، هذه التعددية في القراءة تتيح للنص أن يحيى ويتجدد عبر الزمن، من خلال النقد الذاتي والتأملي حين يتبنى نهجا تأمليا في أثناء تساؤله عن دور الناقد والكتابة النقدية في المجتمع، كما يسعى إلى إعادة النظر في الفرضيات والمفاهيم النقدية والتقليدية»⁽²⁾، فكل قارئ يمكن أن يقدم فهما جديدا للنص بناءً عن رؤيته وخبرته، وهذا ما يمنح النص حياة دائمة ومتجددة على عكس تلك السلطة القاتلة المغلقة التي أغلقت كل أبواب الانفتاح، فالتعدد في الفهم لا يعد ضعفا بل هو مصدر غنى النص، «ولقد

⁽¹⁾ عبد الحليم عطية، ما بعد الحداثة والتفكيك، مقالات فلسفية، دار الثقافة العربية، القاهرة، د.ط، 2008، ص 167.

⁽²⁾ آمال رشدادي، علال سنقوقة، حداثنة التجريد في النقد بختي بن عودة نموذجاً، مجلة أبولوس، مخبر الخطاب الصوفي، جامعة الجزائر، مجلد 12 عدد 1/جانفي 2025، ص 63.

بدى على بختي بن عودة أنه كثيرا ما يستفز بعض المفاهيم والنظريات النقدية من خلال عدة طرق وأساليب تتعلق بتحدي المصداقات الراسخة، وتقديم رؤى جديدة، وإعادة تقييم النصوص الأدبية بإعادة النظر في الأسس، حيث يقوم بتسليط الضوء على نقاط الضعف في النظريات الأدبية التقليدية، من خلال تقديم حجج تدعو إلى إعادة تقييم الأسس التي بنيت عليها هذه النظريات كما كان يطرح تساؤلات جديدة حول النصوص الأدبية مما يفتح المجال أمام تفسيرات متعددة ويحث على التفكير النقدي من خلال التفاعل مع القضايا المعاصرة عبر إشراك القارئ في عملية التفسير، وهو ما يعزز من أهمية استجابة القارئ، ويعطي قيمة أكبر لتجربته الشخصية»⁽¹⁾، فأهم إستراتيجية في التفكيك هو القارئ «إنها علاقة قربي ودم، وإننا حينما نتحدث عن التفكيك نتحدث عن عائلة واحدة»⁽²⁾.

يريد بختي بن عودة بذلك التحرر من المقيد الموجود في تلك القراءة، كما يدعو إلى التعدد في القراءات، وذلك بقوله: «فالحداثة نكوص وإرتقاء، موت وحياء، وربما كانت دليلا على ضعف البصيرة وهشاشة السؤال ما دام القلق غير متبلور في اجتماعياته وفي تاريخياته، بالشكل الذي يرفع الفكر على أقصاه مادحا كل أشكال الانجود، الذي يصعب أو يستحيل تذويبه، وهنا تكمن القراءة المزدوجة ويتحرر فعل التسمية من الحبسة ومن الفراغ»⁽³⁾.

وعليه فالقارئ الحقيقي عنده هو من يخوض معركة المعنى، ويغامر بإنتاج معنى جديد يتمحور من الحضور المادي للتاريخ والمجتمع في النص «والقراءة عند بختي بن عودة تنتج فهما ثم تأويلا، وفي هذه الحال تكون اللغة وسيطا بين الكائن والعالم، كناقل للتجربة وتحتل الصدارة في هذا النحت، وسواء ظل منظورا إليها كوسيلة أو كصورة لها كامنة وراء المشهد أي في الخلفية L

(1) أمال رشدادي، علال سنقوقة، حداثنة التجريد في النقد بختي بن عودة نموذجا، ص 64.

(2) عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، ص 280..

(3) بختي بن عودة، رنين الحداثة، ص 241.

arrière_Plan فإن الاتفاق يكاد ينتمي إلى نسق واحد من التأكيدات والالاحاحات، خصوصا بعدما أدخلتها اللسانيات الحديثة في غليان لم ينته بعد، ولم يستقر على معطى مكتمل، أي بانتقالها من مجرد الخادم الطيع لهذه المجموعة البشرية أو تلك، إلى نظام من العلامات والرموز، أي من واصفة للمعرفة إلى موضوع لها»⁽¹⁾.

5.2. بختي بن عودة: جزأرة المعنى بين التبعر والتأجيل:

إن المعنى عند بختي بن عودة ليس جاهزا، بل ينتج داخل الحفر داخل السؤال، داخل الألم والقلق في مواجهة المجهول، والبحث عن الهوية المسلوقة تلك الهوية التي تبين الأصل الجزائري، فلقد أصيبت الذات الجزائرية بحالة من الانفعال العصائى نتيجة غياب قدرة الهوس السياسى على تأجيل اندفاعه، ولعجز الفكرة الإيدولوجية على مواكبة واقع اجتماعى وسياسى يعيش على وقع تفكك وانشطار المتعدد الأوجه فقد فقدت حدود الرمزية قدرتها على إنتاج دلالات متماسكة أو مضيفة فدخلت الجزائر في دوامة من الارتباك والتشتت يصعب الخروج منها دون تبني سياسة رشيدة تؤمن بالاختلاف وتصغي إلى الآخر، من أجل بناء جسور تفاهم وفتح أفق للتغيير الحقيقى نحو حداثة نقدية.

غير أن استمرار المتعاليات مثل الدولة والإعلام والمدرسة، والجماعات الدينية التي تكرر خطاب الأمة الواحدة، أدى إلى تبعر في أنماط التفكير ومنع الانتقال من دائرة التكرار والتحليل نحو التفكير النقدي والتساؤل والتخطيط المستقبلي العميق، فبدلا من بلورة رؤى بديلة فعالة، تم تقديم حجج وبلاغات شكلية غالبا ما تكون محكومة بروح التقليد والاستنساخ، حتى وإن ادعت النية الطيبة أو استندت إلى مقاربات رومانتيكية لا تلامس جوهر الأزمة⁽²⁾، كما أن «الحداثة في

(1) خديجة عبد الرحيم، علي كرم، سردية النص وسردية الصورة عند بختي بن عودة، مجلة أبحاث، مجلد9، عدد1، المركز الجامعي، مغنية، جامعة أبو بكر بلقايد، 2024، ص63.

(2) ينظر: بختي بن عودة، رنين الحداثة، ص131.

الغرب مسّت مختلف الميادين، كما علمنا التفكيكيون من ديريدا إلى بول دي مان أي بضرب المنطقة القابلة للضرب والانشطار نعثر على البرنامج المستتر والمنخرط في حركة من اللعب والتشردم و التأجيل، فهذا الانعكاف على مساءلة السؤال، والحفر في الفرص المتاحة له بتجديد طبقاته وأمزجته، وما يمكن خلفه وأمامه، يتم أيضا وفق زحزحة أنطولوجية وفلسفية بصناعة المابعد»⁽¹⁾، كما أن ذلك «التشتيت هو تعدد توليدي غير قابل لإجراء أي اختزال، إنه شغب يعمل على إيقاع أكبر قدر ممكن من الخسار و الشروخ في النص، و يقف دون انغلاقه أو إضفاء أي شكلنة تامة عليه»⁽²⁾، فالذات الجزائرية لا يمكن أن تتحرر من أنساق التبعية التي تقيدها إلا عبر مسار نقدي جريء يطال كل التراكمات الثقافية والتاريخية، فبختي بن عودة يريد زعزعة وخلخلة هذا الثابت الذي ترسب عبر الزمن في شكل أعراف وتقاليد ومسلمات، كما أن الخروج من هذا الانغلاق لا يتم إلا عبر ممارسة تفكيكية نقدية لا غير.

تتجه الممارسة التفكيكية نحو كشف التناقضات الكامنة داخل البنية الثقافية الجزائرية وتفتح أفقا لتأسيس خطاب حدائي نقدي متصالح ومتصافح مع ذاته ومع المغايرة والاختلاف وهذا «مايسمح باللعب الحر للنص/العلامة، فالنصوص السابقة تحتاج حدود النص الحاضر لتحويله إلى بينص، تلعب فيه الاختلافات بحرية كاملة، لكل تلك النصوص السابقة ليست في الحقيقة نصوصا بل بينصوص، أي لا يوجد في الواقع نص أول أو نص أصل غزته نصوص سابقة»⁽³⁾.

فجزارة المعاني عند بختي بن عودة لا تفهم بوصفها مجرد تعددات دلالية بل مقاومة لكل تركزز للمعنى، وانفتاحا للهويات الجزائرية، مما يتيح للخطاب أن يتحرك خارج القيود الإيدولوجية

(1) بختي بن عودة، رنين الحداثة، ص239.

(2) حميد الحميداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر مناهج ونظريات ومواقف، منشورات كلية الآداب، فاس، ط3، ص206.

(3) عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، ص262.

المعلقة، ورفض الانغلاق الهوياتي ويخرج ذلك الفكر من أسر الواحدية والثبات، فالمعنى دائم التأجيل والانزياح وهذا ما يجعل المعاني دائمة التوليد والتجاوز وعليه يعيد بختي بن عودة مساءلة البنى الثقافية والسياسية، مؤسساً لبني نقدية تتجاوز الثنائيات التقليدية والخروج من الحافة إلى الحقيقة اليقينية.

3. مقولة الشبحية:

سرُّ التفكيكية هي الشبحية «وقد توظف التفكيكية كإستراتيجية للكشف عن التشابكات الدلالية والفضاءات المجازية للمعنى، فهي تبحث في الفواصل الوهمية أو الخيوط الشبحية بين المتقابلات أو المتناقضات، حيث يستعصى الفصل بين الحاضر والغائب، أو الذكوري والأنثوي أو المثالي والواقعي، وبهذا فالشخصية من منظور دريدا مروراً اضطراباً يبحث في المختلف والمسكوت عنه والمضمر، وتتأسس مقولة الشبحية عند دريدا على بنية لا واقعية ولا محددة وهمية وتائية فالشبح منعكس عن أصل، أي منسوخ عن هوية، فالأشباح تمثلات للذوات مثلما تتبع الأصداء الأصوات، كما أن مقولة الشبحية قائمة على فكرة التكرار Répétition، إذًا فالشبحية ذلك الحضور الثالث المتواجد بين الذات ونفسها في تجليات ممدودة وتمثلات غير محدودة»⁽¹⁾.

فمقولة الشبحية عند دريدا تفكك التصورات الكلاسيكية عن الهوية والحضور والمعنى، إنها تؤكد أن ما نعتقد أنه واضح ومحدد كالذات أو النص أو الهوية، هو في الحقيقة مطارد دائماً بأشباح الغياب، بالنسخ وبما لم يقل بعد، فالشبح إذاً ليس مجرد صورة مرعبة، بل هو رمز فلسفي للغياب الذي يسكن كل حضور وللمعنى الذي لا يستقر، فالطيف عنده ليس كيانه ميتافيزيقياً، بل هو تجلٍ للحضور المؤجل، أو لما لم يستوف بعد من المطالب الأخلاقية والسياسية والتاريخية.

⁽¹⁾ رشيد خلافي، عمر عيلان، مقولات التفكيك في تحليل الخطاب الروائي، مجلة قراءات، مجلد 13، عدد 1، 2021، ص 229-249.

إنه تمثيل للغائب الذي يواصل التأثير في الحاضر، وللمقموع أو المهمش الذي يعود في شكل شبحي ليطالب بالاعتراف والعدالة، بذلك يزعم الشبح يقين الحاضر ويفضح كل المتعاليات الباطنية، وعليه «فالتفكيك لا يبتغي المعنى كما هو الحال مع التأويل، وإنما يطارده أشباحه أو يلتمس أطيافه، فمن خلال مقولة الشبحية تمكن فيلسوف التفكيك من التعرض للإرث الفلسفي، حيث زعم وخلخل أوهام فلسفة الحضور كاشفا عن تواطئ الأضداد داخل نسيج الواقع المتناسك، فأعلن عن لعبة الدوال وما يتخللها من مسكوت ومكبوت يتعري في الخيال، إضافة إلى طبيعة الشبح المتمثلة في التعدد والعودة والتكرار القائم على أساس التشابه المتغير باستمرار مما يجعله لا لا متناه، يشبه المرآة في خلقها لنسخ أخرى مختلفة رغم التشابه، ومتكاثرة ومتعددة ومتشظية، لأنها طاقة لا تنضب تماما كالخيال وعطاء والهبات، وتلك الطاقة تجعل كلا من الخيال والشبح يعرفان نوعا من التشتت والتبعثر في الحدود الفاصلة/الواصلة بين هذا وذاك فتتم عملية زرع لطاقت جديدة في عوالم برزخية تفجر النص، كما تمنح للوجود كثافته اللانهائية»⁽¹⁾.

وعليه «فالشبحية استوطن جاك صرح البين، بين معتبر البينية أساسا وركيزة لها، مما أوقعه في فخ اللاحسم وعدم القدرة على الانحياز لأي طرف من طرفي ثنائيات حياة/موت، فالشبح لا هو بحي ولا بميت، حيادي لايميل لجهة، ولا يفضل واحدة عن الأخرى، ينتعش وجوده في المناطق البرزخية، حيث تتعايش المتناقضات، ويفض النزاع القائم بين ثنائيات الضدية، لعدم تمام حضوره وعدم غيابه بشكل كامل يكتسي الشبح هويته البينية القائمة على مبدأ هو، لا هو»⁽²⁾.

⁽¹⁾ وسيلة مجاهد، الفتوحات الدريدية والتفكيكات الأكبرية، التصوف والتفكيك وجها لوجه، الجزائر، عدد4، 2019 ص77.

⁽²⁾ وسيلة مجاهد، الحياة الموت، واو العطف المحذوفة من أجندة جاك دريدا، مجلة النص، مجلد11، عدد2، جامعة الجليلي يابس، الجزائر، 2024، ص580.

ومن هنا فإن دريدا يعتمد الرفض لأي نظام مغلق على النصوص، مبررا بذلك في إعادة التفكير في مفاهيم الوجود والمعنى والهوية في سياق منفتح ومغاير، «فالأشباح هي الاسم الآخر للبنية، للحضور والغياب في الوقت نفسه، أو الحضور في عين الغياب، الشبح هو تجسيد يتسم بالمفارقة، سيرورة الجسد، شكل ظاهر وجسدي للروح، بهذا التعريف يقدم دريدا ما هو عليه الشبح من عدم الحسم، لا هو نفس ولا هو جسم إنه منزلة وسطى بين حقيقتين، إحداها مادية والأخرى غير مادية، والتجسيد لعلقة له بالتجسيم، الروح يتجسد ولا نقول عنه أنه يتجسم»⁽¹⁾، وعليه يصبح الشبح تعبيرا عن انفتاح المعاني وتحررها من القيود الصارمة للهوية، ليعبر عن التداخل الذي يعرف الوجود في منظور التفكيك.

1.3. في حضرة الأشباح والبحث عن الهوية الجزائرية:

مقولة الشبحية من بين أهم التقنيات التي تصنف تحت إستراتيجية التفكيك والتي جاء بها الفيلسوف جاك دريدا في كتابه "أطياف ماركس"، ومن هذا المنطلق قد تأثر بختي بن عودة بهاته الأفكار الطيفية والروح الهائمة، وأقر بأن المجتمع الجزائري خاضع لتلك الأخيرة «لقد ظهر للوضوح، أيما ظهور كشكل واضح للمرة الألف أن الجزائر خاضعة لفكرة الأشباح، التي يثيرها الفيلسوف جاك دريدا، في كتابة الأخير أشباح ماركس، حالة الدين، عمل الحداد، والأهمية الجديدة»⁽²⁾.

فهاته الأشباح التي جاء بها جاك دريدا، ترمي إلى التركيز والفحص الدقيق في الهويات والبحث عنها وربطها بواقع المجتمعات والتحري عن هوياتها، «فالشبحية هي البحث عن هوية اللاشيء اللامستقر الوهمي واللايقيني، ذلك التائه المفقود الذي يوجد من دون حضور، ويحل من

(1) محمد شوقي الزين، بين بين أو سيمياء الشبحية في تفكيكية دريدا، مجلة التشكيل، العدد 31، 2020.

(2) بختي بن عودة، رنين الحداثة، ص 12.

دون حضور، ويحل من دون زمان أو مكان ويغنى في خلود»⁽¹⁾، فالشبح هنا لا يمثل مجرد كائن مخيف، بل رمزا لفكرة أو وجود هش، غير مكتمل يلح علينا بالحضور بينما هو غائب، وربما يشير إلى ماض لم يستكمل، أو مستقبل لم يتحقق.

فالمجتمع الجزائري هو مجتمع عربي مسلم، غير أن تلك الحقبات الاستدمارية سعت إلى طمس تلك الهوية والأصالة الدينية والتاريخية، مما أدى إلى تشوه الوعي الجماعي، وظهور أزمة هوية عميقة لدى الفرد الجزائري، ومنه انطلق بختي بن عودة إلى البحث عن الهوية الجزائرية الأصيلة وذلك عن طريق تفكيكه لهذا المجتمع والكثافة الحضورية، تجعل من الآخر أو الغير، يتعذر على أن يحتزل في الهامش أو يحتزل في الفاض، ويعزل في سحيق المجهول ويصنف في هذا الخارج عن الذات، في ملحقاتها وهوامشها، فهو ذو بنية شبحية انعكاسية ارتدادية، فقد تدفع الهويات والغيريات إلى التفهم والانصات رغم المتناقضات والمتغايرات والخيوط الوهمية والفواصل الطيفية إلى التعايش والحوار، وفكرة القبول بالآخر كشبح وطيف منسوخ، والهبوط إلى أعماق الذات، كأرض مبدعة وليس كسطح ثابت، واستنادا على هذا جعلت بختي بن عودة يبحث ويدرس فكرة الأشباح والطيفيات، لأن المجتمع الجزائري مسيطر من قبلها، وذلك بسبب اختفاء هويته وأصالته تحت أمر التقاليد القديمة الغارقة في وهم ولا تريد التجديد والتغيير، والتحرر من تلك القود، ظلت تابعة للآخرين ومتمسكة بموروثات وهويات ليست لها ولا من جذرها أصلا، فالبحث عن الهوية الجزائرية للفرد الجزائري هو داخل ذلك الشبح غير المرئي، فلا بد من تفكيك ذلك العمق الكامن في الهوية لاسترجاع ماسلب من الذات الجزائرية.

(1) ساتيك نيروز، مراجعة كتاب أرخبيلات ما بعد الحداثة، رهانات الذات الإنسانية من سطوة الإنغلاق إلى إقرار الإنعتاق لمحمد بكاي، مجلة تبين، العدد 6/23، ص 103.

2.3. الشيء المهمل الذي تغافل عنه بختي بن عودة:

استنادا على مل سبق فإن تفكيكية بختي بن عودة في تفكيكيته للعقل الجزائري من الدوغمائية والسلطة والتي أطلق عليها اسم القبيلة فقد انشغل بختي بن عودة بكشف وكسر ونقد المبادئ الميتافيزيقية والهوياتية المقيدة، فقد حاول تخلص جهوده إلى نقد الهوية والدين والعقل والدعوة إلى التفتح والتعدد والتحرر من كل اليقينيّات آخذا ومتأثرا بأفكار وإستراتيجيات جاك دريدا، لكن ما تغافل عنه بختي بن عودة هو الجانب الاقتصادي والاجتماعي والمقاربتية الشعبية اليومية في ترميم الهوية، بحيث بقي طرحه التفكيكي في غالب الأحوال طرحا نخبويا، دون أن يتعامل ويمعن في النظر للواقع المعاش للجزائريين، خاصة الطبقات المقصية، أو كيف تتكون الهوية ضمن أماكن الفقر، والأمية والعنف، كما لم يعط اهتماما للفئة الجماعية ما بعد الاستعمار وتأثيره الداخلي على تصور الذات والهوية.

وعليه فإن تفكيك بختي بن عودة موجهة رسميًا إلى خطاب السلطة، والهوية الثقافية الخاصة بالطبقات المثقفة، أكثر من كونه مشروعًا جامعا ينخرط مع الواقع التاريخي والاجتماعي، متعدد الأصوات الذي يشكل العقل الجزائري في تعدديته وغموضه.

4. نقد التفكيكية:

يرى بعض النقاد أن التفكيكية «من الاتجاهات التشكيكية التي لا تؤمن بإمكانية تحقيق تصور موضوعي للواقع والأفكار، كما هي، تشكك بقدرة اللغة على نقل الواقع والأفكار نقلا موضوعيا، ويعتقد كريستوفر بطلر أن النص الأدبي وفق المنظور التفكيكي يمثل تركيبة لغوية غير متسقة، بل يمثل تركيبة لغوية تعارض نفسها من الداخل بالكسور والشروخ والفجوات على نحو يجعل من النص قابلا لتفسيرات شتى ولتأويلات لا نهاية لها.

فالتفكيكية باعتبارها صيغة لنظرية النص، تخرب كل شيء في التقاليد تقريبا، وتشكك في الأفكار الموروثة عن العلامة واللغة، والنص والسياق، والمؤلف، والقارئ، ودور التاريخ، وعملية التفسير وأشكال الكتابة النقدية.

ويؤكد هوارد فليبرن Felpen أن التفكيكين هم السبب الوحيد لأزمة الدراسات النقدية فهم يتصورون المؤسسة الأدبية، وقد تحولت إلى كرنفال، تحتفي فيه التقسيمات والحدود التي تميز بين الشيء وغيره إلى درجة يسود فيها الخلط، ويمنح الطلبة درجات عالية مقابل السخرية التي يتقنونها مع جهلهم بأكثر الأشياء بدهاة⁽¹⁾، كما يبدو أن «التهمة الأساسية التي توجه إلى جاك دريدا، هو أنه انزلق بالنص الفلسفي ثلاثة انزلاقات أساسية:

- 1- تحويل المنطق إلى مجرد بلاغة؛ أي اختزال منطق النص الفلسفي إلى بلاغة محضة.
- 2- تحويل المفهوم إلى مجرد استعارة؛ أي اعتبار المفاهيم الفلسفية مجرد استعارات بلاغية.
- 3- اختزال الفلسفة إلى مجرد أدب؛ أي مساواة بين النص الفلسفي والنص الأدبي⁽²⁾.

(1) محمد بلعاسي، يوسف نقماري، إستقبال التفكيكية في النقد المغاربي المعاصر، مجلة التنوير، العدد 08، ديسمبر، جامعة شلف، ص 68.

(2) محمد الشيخ، ما معنى التفكيك، ص 79-80.

خاتمة

وبعد رحلة من البحث المتواصلة وجولتنا حول ما بعد الحداثة، توصلنا إلى خاتمة البحث ومازال الإحساس بلذة البدايات يرافقنا، والشعور بالنقص يغزو أفكارنا، لذا كان لزاماً علينا أن نُنهي هذا البحث بمجموعة من النتائج والإستنتاجات على النحو الآتي:

✓ أن النقد التفكيكي ليس مجرد منهج بل إستراتيجية تزعزع مراكز المعنى والثورة عليه والدعوة إلى إنفتاح النصوص على قراءات متعددة.

✓ التفكيكية تعمل على إستدعاء المهمل الذي يتمحور داخل النصوص.

✓ المعاني قابلة للتأجيل ولديمومة التأويل فلا يوجد مركز ولا يقينيات.

✓ التفكيكية عند جاك دريدا ترفض النظام الثابت والتسلسلات الهرمية الموجودة في النصوص، وكسر الثنائيات المغلقة.

✓ فكرة الشبحية سر من أسرار التفكيك، وذلك بالبحث عن العمق والمتعاليات الباطنية.

✓ لا يشيد التفكيك لنفسه نهاية محددة، فعالج الأمور بطريقة مبعثرة، مغايرة، مليئة بالإختلالات .

✓ يتمحور الإختلاف التفكيكي على حقيقة مفادها أن المعنى غير ثابت وغير مستقر، رحلته لا تتوقف عند نقطة جامدة، فهو دائم التطور، وأحد أعمدة علم البيان.

وعليه تمثل التفكيكية من بين الآليات التي تفكر لرؤية جديدة خارج كل الأطر الفكرية السائدة، بهدف فتح مجال للإختلاف، وكل تلك المقولات التفكيكية تؤكد جميعها على حرية إمتلاك النص، وتحليله بالطريقة التقويضية له، دون أن يتوقف النص عند عدد معين من المتلقنة والقراء، وطرح مصطلحات جديدة لا حدود ولا نهاية لها.

من جهة أخرى حاول خطاب التفكيك في الجزائر وبالأخص عند بختي بن عودة إلى الإنفتاح والدعوة إلى الإختلاف، لأنه الملاذ الأخير الذي يحرز التطور من السلطة القديمة إلى الرؤية التنويرية الجديدة والتي تبلغ النجاح، ولتحرير الهوية من الأسر والقيود المركزية المتسلطة.

نتمنى أن يكون هذا البحث بمثابة خطوة على الطريق سبقتها خطوات وستتبعها خطوات أخرى.



قائمة المصادر والمراجع

1. ابن منظور، لسان العرب ،مادة (ف،ك،ك).
2. أحمد البنكي مُحمَّد، دريدا عربيا، قراءة التفكيك في الفكر النقدي العربي، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2005.
3. أدونيس، الثابت والمتحول، ج1، بيروت، دار الساقي، ط9، 2006.
4. أرفيس بلخير، الحداثة وجدل الذات والهوية بين الفكر والأدب، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج08، عد05، 2019، 05، جامعة مُحمَّد بوضياف، المسيلة.
5. أمال رشداوي، علال سنقوقة، حداثَة التجريد في النقد بختي بن عودة نموذجًا، مجلة أبوليوس، مجلد12، مخبر الخطاب الصوفي، جامعة الجزائر، عدد1/جانفي2025.
6. إينجلتون، أوهام مابعد الحداثة، تر: منى سلام، أكاديمية الفنون، القاهرة، 1996.
7. بختي بن عودة، رنين الحداثة، منشورات الاختلاف، وزارة الإتصال والثقافة، الجزائر، ط1 1999.
8. بختي بن عودة، ظاهرة الكتابة في النقد الجديد مقارنة تأويلية، دار صفحات سوريا 2013.
9. بختي بن عودة، موقع لمقاربة إختلاف جاك دريدا، مجلة كتابات معاصرة، لبنان، مجلد4 عدد15، سبتمبر، 1992.
10. بدر شاكر السياب، الديوان، دار العودة، بيروت ط1، 1971.
11. جاك دريدا ، الكتابة والإختلاف، تر: كاظم جهاد ، تق مُحمَّد علال ، سيناصر ، دار توبقال للنشر ، دار البيضاء المغرب، ط2، 2000.
12. جاك دريدا، إستراتيجية تفكيك الميتافيزيقا (حول الجامعة والسلطة والعنف والعقل والجنون والإختلاف والترجمة واللغة)، دط، تر: عز الدين الخطابي، إفريقيا الشرق، المغرب 2013.

13. جاك دريدا، إستراتيجية تفكيك الميتافيزيقا، تر: تق عز الدين الخطابي، إفريقيا الشرق 2013.
14. جاك دريدا، بول دي مان وآخرون، مداخل إلى تفكيك البلاغة المعاصرة، وتر: حسام نايل، تص: د.م، بدوي، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 2013.
15. جاك دريدا، مقابلة أجراها، كاظم جهاد، مجلة الكرمل، عدد 17، عند عبد الكريم درويش، فاعلية القارئ في إنتاج النص، المرايا الامتنائية، مجلة الكرمل، 2010.
16. جاك ديريدا، صيدلية أفلاطون، تر: كاظم جهاد، دار الجنوب للنشر، تونس، ط1 1998.
17. جلول مقورة، من الحداثة إلى ما بعد الحداثة، مجلة الدراسات والبحوث الإجتماعية جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، العدد 28، ديسمبر 2018.
18. جميل حمداوي، نظريات النقد الادبي والبلاغة في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الالوكة ط1، الناظور، المغرب، 2011.
19. جوليت ميتشل، البنيوية والتفكيك في النص الشعري، دار الكتاب الحديث د.ط، 2011، 1432.
20. حميد الحميداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر مناهج ونظريات ومواقف، منشورات كلية الآداب، فاس، ط3.
21. حنان خطاب، أثر التفكيك في النقد الجزائري قراءة في مشروع بختي بن عودة التفكيكي مقال محاورات في الأدب والنقد، مجلد 1، عدد 4، سبتمبر 2021.
22. حنان خطاب، محاضرات في مقياس إستراتيجية التفكيك، قسم اللغة والأدب العربي 2022.
23. حوار مع جاك دريدا، أجراه هاشم صالح، الفكر الغربي المعاصر، بيروت، عدد 54- 55 جويلية، 1988.

24. خديجة عبد الرحيم، علي كريم، سردية النص وسردية الصورة عند بختي بن عودة، مجلة أبحاث، مجلد9، عدد1، المركز الجامعي، مغنية، جامعة أبو بكر بلقايد، 2024.
25. خريسان، باسم علي، مابعد الحداثة، دمشق، دار الفكر، ط1، 2006.
26. رشاد عبد الغفار، الرأي العام والتحول الديمقراطي في عصر المعلومات، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 2003.
27. رشيد خلايفي، عمر عيلان، مقولات التفكيك في تحليل الخطاب الروائي، مجلة قراءات، مجلد13، عدد1، 2021.
28. رولان بارت، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بن عيد العالي، دار توبقال، المغرب ط3، 1993.
29. رولان بارت، الكتابة في درجة الصفر، تر: مُحمَّد نديم خشفة، حلب، سورية، الإنماء الحضاري، ط1، 2000.
30. ساتيك نيروز، مراجعة كتاب أرخبيلات ما بعد الحداثة، رهانات الذات الإنسانية من سطوة الإنغلاق إلى إقرار الإنعتاق لمحمد بكاي، مجلة تبين، العدد6/23.
31. سعيد الغوانمي، عبدالله إبراهيم، عواد ليلي، معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة.
32. شريف عبيدي، المفارقة المصطلح والمفاهيم، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر.
33. صالح هويدي، المناهج النقدية الحديثة وأسئلة ومقاربات دار نينوي ، سوريا، دمشق ط1، 2015.
34. عبد الحليم عطية، ما بعد الحداثة والتفكيك، مقالات فلسفية، دار الثقافة العربية القاهرة، د، ط، 2008.
35. عبد السلام بن عبد العالي، نظرية الكتابة عند رولان بارت، التجليات في النقد العربي المعاصر، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، مجلد35، عدد139.

36. عبد العزيز بن عرفة، الدال والإستبدال، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا، ط1
1993.
37. عبد العزيز بن عرفة، مقال جاك دريدا، التفكك والإختلاف المرجأ، مجلة الفكر العربي
المعاصر، عدد48/1988.
38. عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، الكويت، سلسلة عالم المعرفة
نيسان، 1998.
39. عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي، معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية
الحديثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط2، 1996.
40. عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، المركز الثقافي العربي، ط6
2006.
41. عبد المالك مرتاض، نظرية التقويض (مقدمة في المفهمة والتأسيس)، مجلة علامات في
النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة، مع10، ج1999، 34.
42. عبد المقصود عبد الكريم، ديفيد بوشبندر، نظرية الأدب المعاصر وقراءة الشعر مكتبة
الأسرة، ط1، 2005.
43. عبد الوهاب المسيري، فتحي التريكي، الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر، دمشق
ط3، 2010-1431.
44. عمار بلحسين، من تسييس الثقافة إلى تثقيف السياسة، مجلة التبين، الجزائر
عدد4، 1991.
45. عمر مهيل، من النسق إلى الذات، قراءة في الفكر الغربي المعاصر، المؤسسة الوطنية
للفنون المطبعية، الجزائر، ط1، 2004.
46. فتحي لمسكيني، الهوية والحرية نحو أنوار جديدة، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان
ط1، 2011.

47. كريستوفر لويس، التفكيكية النظرية والممارسة، تر: صبري مُحمَّد حسن، دار المريخ الرياض، 1989.
48. كريستوفر نوريس، التفكيكية النظرية والتطبيق، تر: رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار سوريا، ط1، 1992.
49. كمال عبد الرزاق صالح، الحضور والغياب في ضوء النظرية التفكيكية لجاك دريدا الجامعة المستنصرية، مجلة كلية التربية، العدد2، 2017.
50. لودفيك فيتغنشتاين، تحقيقات فلسفية، تر: تق عبد الرزاق بنور، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، أبريل، 2007.
51. مُحمَّد الشيخ، مامعنى التفكيك لدى جاك دريدا، أصوله الفلسفية وضوابطه المنهجية وتطبيقاته التربوية، 1967-1984، دار البدائل القاهرة، ط1، 2014.
52. مُحمَّد بلعاسي، يوسف نقماري، استقبال التفكيكية في النقد المغاربي المعاصر، مجلة التنوير، العدد08، ديسمبر، جامعة شلف.
53. مُحمَّد ذبيح، مُحمَّد جواد مكينة، النص الأدبي من ميتافيزيقا المركز إلى ثقافة الهامش، مجلة فصل الخطاب، مج10، عدد4، ديسمبر، جامعة ابن خلدون تيارت، 2021.
54. مُحمَّد سعدي، الحداثة وأفق الإنجازات، مجلة مقاليد، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، الجزائر، عدد15/ديسمبر2018.
55. مُحمَّد شوقي الزين، بين بين أو سيمياء الشبحية في تفكيكية دريدا، مجلة التشكيل، العدد31، 2020.
56. مُحمَّد شوقي الزين، تأويلات وتفكيكات فصول في الفكر الغربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1436، 2015.
57. مُحمَّد علي الكردي، مفهوم الكتابة عند جاك دريدا، المجلة الرابع عشر، (مجلة فصول) العدد02.

58. محمود درويش، الأعمال الكاملة، إعداد علي مولاي، منتدى مكتبة الإسكندرية.
59. مصطفى خضر، النقد والخطاب محاولة قراءة في مراجعة نقدية عربية معاصرة، إتحاد الكتاب العرب، سورية، 2001.
60. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة (ف، ك، ك)، مكتب الشروق الدولية القاهرة، مصر، ط 4، 2005.
61. مليكة بوجفجوف، التفكيكية. **Deconstratation**، مجلة التناص، جامعة جيجل المجلد 16، ع 29، جوان 2021.
62. مهدي الأصفهاني في رائد التفكيك في المعرفة الدينية، مجموعة مؤلفين، تر: عباس جواد، بيروت، ط 1، 2014.
63. ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط 3، 2002 الدار البيضاء، المغرب.
64. نازك الملائكة، شظايا ورماد، م 2، دار العودة، بيروت، 1997.
65. نبيلة إبراهيم، فن القص في النظرية والتطبيق، مكتبة غريب، د، ط.
66. وسيلة مجاهد، الحياة الموت واو العطف المحذوفة من أجندة جاك دريدا، مجلة النص مجلد 11، عدد 2، جامعة الجيلالي يابس، الجزائر، 2024.
67. وسيلة مجاهد، الفتوحات الدريدية والتفكيكات الأكبرية، التصوف والتفكيك وجهها لوجه، الجزائر، عدد 4، ديسمبر، 2019.
68. وليد عثماني، التفكيك بين النظرية والممارسة في الخطاب النقدي الجزائري (قراءة بختي بن عودة أنموذجا)، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد 12، عدد 2، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، الجزائر، يونيو 2023.
69. وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث رؤية إسلامية، دار الفكر البرامكة دمشق ط 2، 2009.

70. وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث رؤية إسلامية، دار الفكر، دمشق، البرامكة ط1430، 2هـ، 2009.

71. يوسف تومي جويده، الألعاب اللغوية في فلسفة فيتغنشتاين، مجلة علوم اللغة العربية وأدابها، جامعة غرداية الجزائر، مخبر اللغة والفن والتواصل، جامعة المدية، مج14، عدد07 2022.

72. Co.prof.Hanadi Muhammad Berhairi.Deonstructive Priciples of Jacques Derride Journal of Arabic language and Lirerature(FALS) Vol2 Lessue1(2023).
73. IbrahimAlsibli,PostmodarElestir:BiModelolarakYapiskum,Criti cim,Deonstraton as a Model Journal of oriental,Studies45,(2024).



فهرست الموضوعات

الإهداء:

شكر وتقدير:

مقدمة:

مدخل: حفريات في طبقات الفكر الغربي:.....05

1. الفصل الأول: في مصطلحية التفكيك، التقنية والتأصيل.....-12-

1. في مصطلحية التفكيك :..... 13

2. التفكيكية النشأة الميلاد :..... 18

2.1. التفكيكية والممارسة العربية: 19

2.2. التفكيكية في الساحة الغربية: 23

3.2. التفكيك بين البنية والهيئة، دريدا وتجاوز المركز :..... 24

3. ماهو نشاط التفكيك الذي يمارسه دريدا؟ :..... 25

4. النقد التفكيكي، المصطلحات لبناء المستقبل من الفوضى: 27

5. نظرية اللعب Theory of play:..... 37

1.5. سحر الحضور ولغز الغياب(جدلية المعنى):..... 38

2.5. جدلية الهامش والمركز:..... 40

3.5. مفارقة المعنى في خطاب النقد التفكيكي:..... 41

2. الفصل الثاني: النقد التفكيكي عند بختي بن عودة

1.1. النقد التفكيكي عند بختي بن عودة: 45

1.2. بختي بن عودة متأثراً بجاك دريدا: 47

1.3. بختي بن عودة والتمركز حول العقل الجزائري 49

1.4. بختي بن عودة والتمركز حول الصوت وإنفتاح الكتابة: 52

2.3. غياب الهوية مرهون بغياب الكتابة 61

2.4. بختي بن عودة وسؤال القراءة المتعددة: 63

2.5. بختي بن عودة: جزأرة المعنى بين التبعثر والتأجيل: 65

3. مقولة الشبكية: 67

1.3.1. في حضرة الأشباح والبحث عن الهوية الجزائرية: 69

2.3.2. الشيء المهمش الذي تغافل عنه بختي بن عودة: 71

4. نقد التفكيكية: 71

خاتمة: 72

قائمة المصادر والمراجع: 76

فهرس الموضوعات: 84

ملخص الدراسة: 85

ملخص:

تستكشف هذه الدراسة النقد التفكيكي لجاك دريدا، منهج ما بعد حداشي يهدف إلى زعزعة الثوابت وإعادة بناء المعاني، مع التركيز على إبراز المهمش، تبحث الدراسة في كيفية عمل التفكيك في تحليل اللغة وكشف المعاني الخفية، كما تتساءل - الدراسة - عن مساهمة التفكيك في بناء المعنى، وكيف تلقى بن عودة آليات دريدا التفكيكية، وكيف وظفها لمساءلة الهوية الجزائرية المهمشة، ولهذا جاء البحث ليقدم جانباً نظرياً للتفكيك وتطبيقاً عملياً على نقد بن عودة للعقل السلطوي.

كلمات مفتاحية: النقد التفكيكي؛ مفارقة المعنى؛ استدعاء المهمش؛ سؤال الغياب؛ جاك دريدا؛ بن عودة بختي.

Summary

This study explores **Deconstructive Criticism** by Jacques Derrida, a postmodern approach aimed at destabilizing fixed notions and reconstructing meanings, with a focus on highlighting the marginalized. The work examines how deconstruction operates in analyzing language and revealing hidden meanings. The study questions deconstruction's contribution to meaning-making, how **Bakhti Ben Aouda** received Derrida's deconstructive mechanisms, and how he utilized them to interrogate marginalized Algerian identity. The research offers a theoretical aspect of deconstruction and a practical application to **Ben Aouda's** critique of the authoritarian mind.

Keywords: Deconstructive Criticism, Paradox of Meaning, Invocation of the Marginalized, Question of Absence, Jacques Derrida, Ben Aouda Bakhti.